دُروسٌ مِنْ هَدْيِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

سِلْسِلَةُ دُرُوسِ رَمَضَانَ

(ٱلدَّرْسُ ٱلرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ)

سُورَةُ الأَنْعَامِ

مِنْ أَوَّلِ ٱلسُّورَةِ إِلَى الآيَةِ ٣٩

أَلْقَاهَا ٱلسَّيِّدُ/ حُسَيْنُ بَدْرِ ٱلدِّينِ ٱلْحُوثِي

بِتَارِيخ: ٢٤ رَمَضَانَ ١٤٢٤ هـ

المُوَافِق: ٢٠٠٣/١١/١٨ م

ٱلْيَمَنُ - صَعْدَةُ

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيل لها في أشرطة كاسيت،
وقد أُلْقِيَتْ ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

إعداد/ يحيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

انتهينا بالأمس من التأمل في السور السابقة: (الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة) ومما وجدنا في هذه السور، من المواضيع الرئيسية فيها أنها قدَّمت صورة كاملة عن بني إسرائيل، عن أهل الكتاب بشكل نقول: – فعلاً – بشعين، وأصحاب قلوب قاسية، ونفوس خبيثة، ومع ذلك رأينا كيف أنه استثنى فئات منهم في تاريخهم الماضي، وأثنى عليهم، وقدَّمهم كنموذج لمن اهتدوا بهديه، وأن أولئك – وهم أكثرهم – ما صاروا إلى ما صاروا إليه وأصبحت حالتهم كما قدَّمها لنا إلاّ بسبب إعراضهم عن هدي الله.

كشف لنا نواياهم، وأوضحهم لنا بشكل فعلاً يعطي رؤية متكاملة في التعامل معهم، حيث يرى الإنسان بأنه فعلاً أن يكون هناك أمة على هذا النحو من الفظاعة، على هذا النحو من الخبث، ويمثلون كتلاً من الحقد والعداء للبشر، وبجرأة حتى على الله سبحانه وتعالى، أنه فعلاً بمقدار ما رأيناهم على هذا النحو، بمقدار ما أوضح خطورتهم الكبيرة، ولنعرف في نفس الوقت سوء تقصير الناس في مواجهتهم، وهم يرونهم – فعلاً – على ما حكى القرآن عنهم.

ليس باستطاعة أحد أن يقول: (بأن أهل الكتاب في هذا العصر كشفوا أنفسهم أو رأينا من خلال أعمالهم ما يدل على أنهم بعيدون عمَّا حكى القرآن عنهم) بل في أعمالهم، في حركاتهم، في تخطيطهم، في ممارساتهم، في إعلامهم، في سياستهم، في اقتصادهم، وجدناهم فعلاً يشهدون على أنفسهم بأن ما قال الله عنهم في القرآن هو حقيقة لا مرية فيها ولا شك فيها. إذاً فكيف ستكون جريمة من يبتعدون عن التفكير بالعمل في مواجهتهم وفي دفع شرهم؟! كيف ستكون جريمة من قد ينطلق ليسارع فيهم كما حكى الله في الآيات السابقة التي سمعناها في (سورة المائدة)؟!

هذه هي الخلاصة التي نخرج بها من تلك السور، وفعلاً – كما قلنا سابقاً – القرآن الكريم مواضيعه مترابطة، وأنت تحتاج إلى أن تكون هذه المواضيع بمجملها في ذهنيتك، لا يكفي موضوع واحد منها أن تعرفه، بل تحتاج إلى معرفة هذه المواضيع، على هذا النحو الذي قُدِّم في القرآن الكريم؛ لهذا عندما ندخل إلى (سورة الأنعام) سورة الأنعام هي تتحدث عن قضايا كثيرة أخرى، تركّز بالذات على ما يتعلق بمعرفة الله سبحانه وتعالى، والحديث حول المشركين، وقضايا كثيرة جداً تتناولها، هي في الواقع لا تُعتبَر موضوعاً جديداً بمعزل عن المواضيع السابقة أبداً. نحن بحاجة إلى معرفة الله سبحانه وتعالى؛ لأننا وجدنا في السابق أن القضية التي تضمنتها تلك السور هي: أن ينطلق الناس في سبيله؛ ليكونوا قوامين بالقسط، ليعملوا على إعلاء كلمته، ليواجهوا أعداءه، قضية تحتاج إلى أن يكون الإنسان على معرفة عالية بالله سبحانه وتعالى؛ لتكون ثقته بالله كبيرة.

إذاً لا نرى بأنه من المناسب أن نتناول كل سورة ونقول: هذه السورة هي تتناول موضوع كذا وكذا، ثم نأتي إلى سورة أخرى ونقول: هذه تتناول موضوع كذا وكذا؛ لأنك تجد داخل هذه السور مواضيع متعددة، وتجدها في الأخير هي تصب في موضوع واحد، والقرآن كله يصب في موضوع واحد هو (النفس) هو (هذه الحياة) لهذا وجدنا آية في آخر (سورة المائدة) تُعطي خلاصة للموضوع، أن يُقدِّم صورة عن أهل الكتاب كيف هم، وأنهم ضعاف مهما رأيناهم كباراً، وأن الناس إذا تحركوا على أساس هدى الله سبحانه وتعالى فسيكون معهم ويؤيدهم، وهو مَلِك السموات والأرض، وأشياء كثيرة رأيناها، وضرب أمثلة كثيرة لتأييده لأوليائه في مراحل التاريخ، ثم جاء بخلاصة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾(المائدة:١٠٥) لأن القضية كلها لا يأتي الخلل إلاّ من جهتكم أنتم، متى لم تكونوا مؤمنين بالشكل المطلوب، ولا واعين، ولا فاهمين، ولا واثقين بالله، ولا مرتبطين بالله بالشكل المطلوب فعلاً سيبدو كل شيء خطيراً، ويبدو كل شيء فعلاً يضركم، ويؤذيكم، وتسليط، وظلم، وقهر، وأشياء كثيرة جداً.

﴿عَلَيكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ إذا كنتم مستقيمين أنتم، وتبنون أنفسكم بناءً صحيحاً على ما قدَّمه هذا الهدى، إذاً فـ﴿لاَ يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ﴾ أبداً ﴿إِذَا اهْتَدَيتُمْ﴾(المائدة:١٠٥) بمعنى ماذا؟ أن موضوع العدو – كما نقول أكثر من مرة – أن القرآن الكريم قدَّم موضوع العدو محسوماً تماماً، يعني ماذا؟ ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذىً وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾(آل عمران:١١١)، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيدُهُمْ شَيئًا﴾(آل عمران:١٢٠)، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾(آل عمران:١٨٦) وهكذا قدَّم أن موضوع العدو محسوم، موضوع التأييد الإلهي محسوم، فقط الإشكالية هي

أين؟ عندكم، في أنفسكم أنتم، أن تضعف استجابتكم، أن يقل اهتمامكم، ألاّ تستوعبوا هذا الهدى، ألاّ تتحركوا على أساسه، فعلاً الخلل جاء من عندكم، إذاً لا تنسبوا الخلل إلى واقع هذه الحياة كما يعمل الآخرون، وفعلاً هي إشكالية حصلت وهي كبيرة، معناه: انتبهوا لأنفسكم أنتم، عليكم أنفسكم، صلحوها، اهدوها، حاولوا أن تبنوها على هذا النحو، وكل شيء سيستقيم، العدو موضوعه محسوم سيُضرَب، التأييد الإلهي لن يخلف الله وعده، هذا هو الخلاصة.

وهي فعلاً تذكرنا، وهي آية هامة، وللأسف يأتي البعض ويُحرِّف معناها بشكل سيئ جداً، هذه الآية جاءت بعد توجيهات عملية كثيرة، عملية كلها وموجهة إلى مَن؟ موجهة إلى الناس، إلينا نحن، في الأخير إذاً تجلت القضية بالشكل الكافي فانتبهوا لأنفسكم بأن تستقيموا وكل شيء محسوم، كل شيء مما يمكن أن تخافوا منه موضوعه محسوم، وفي نفس الآية أرفقها بما يوحي بتهديد: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(المائدة:١٠٥).

إذاً رأينا كيف أن الناس عندما يعتمدون على القرآن أليس بالشكل الذي يُعتبَر جديراً بأن يعتمد الناس عليه، ويهتدوا به؟ يُقدِّم الأشياء بشكل واضح، وبشكل متكامل، كم ذكر عن بني إسرائيل! شخّصهم بشكل كامل، إضافة إلى ما سيأتي في بقية السور، أحياناً يتناول في أيِّ سورة من السور الكبيرة، يتناول ولو بجزء من المواضيع الأخرى الكبيرة خارج الموضوع الخاص الذي تعطيه السورة أولوية؛ ليبقى الموضوع في ذهنيتك مرتبطاً، تبقى الأمور مرتبطة، مثلما نقول الآن، الآن قرأنا سُوَراً تناولت في مواضيعها الرئيسية، ولا نستطيع أن نقول - وهو فعلاً - أن نقول: إننا استوعبنا كل ما يمكن أن تعطيه هذه السور أبداً، هذه السور لا يمكن أن نقول: إننا استوعبنا كل ما يمكن أن تعطيه، لو نرجع إليها مرة ثانية، ونرجع مرة ثالثة، وشهراً بعد شهر، وفي حركة الناس في الحياة، تجدها نهراً كما قال الإمام علي، نهراً يتدفق، لا ينضب على الإطلاق.

فعندما ندخل في هذه السورة، موضوع هذه السورة هو موضوع مرتبط بالمواضيع السابقة، والمواضيع السابقة مرتبطة ببقية المواضيع في السور الأخرى، وهكذا، ليس هناك تجزئة في القرآن، حتى لاحِظ كيف يُقدِّم الأحكام التشريعية التي هي محط اهتمام الناس، تلك الأحكام التشريعية الفقهية، أليس يُقدِّمها في داخل المواضيع الكبرى، ويشبكها هكذا بشكل ممتزج مع كل المواضيع؟ هكذا تجد، وكما نقول دائما: نحن نريد من خلال أن نعرف هدى الله سبحانه وتعالى الذي يأتي في نفس الوقت يهدي بتبيين، ويهدي في إعطاء منهج، منهج لحركة الناس في سبيل أن يكونوا قوامين بالقسط، في سبيل أن يكونوا مُصلِحين في أرضه، في سبيل أن يكونوا مصلحين لعباده، هذه النظرة الشاملة، تُقدِّم القضية برؤية مترابطة مع بعضها بعض، تعني فعلاً بأن ما حصل في ثقافتنا من رؤية تجزيئية، ومنبعها (أصول الفقه) الرؤية التجزيئية، النظرة إلى كل قضية بخصوصها، وإلى كل قضية وحدها، ويرى هذه القضية وحدها، وتلك وحدها، وتلك وحدها في معظم ما قُدِّم، أن هذه تُعتبَر نظرة سيئة وسلبية بشكل كبير، النظرة التجزيئية هي النظرة التي قدَّمها منطق (أصول الفقه) بينما تجد القرآن الكريم كيف منطقه؟ كيف أسلوبه؟ أليس هو يعطيك الرؤية الشاملة، ويُقدِّم القضايا أمامك مترابطة.

أنت عندما ترى عنواناً كبيراً مثلاً جهاد في سبيل الله، أليس هذا عنواناً كبيراً؟ لاحِظ كيف يرفقه بعناوين كثيرة، ومواضيع أخرى كثيرة جداً جداً، تجعل هذه القضية عندك في الأخير قضية تشتاق إليها، وليس أنك تبحث عن كيف تتخلص منها.

النظرة التجزيئية الأخرى كيف تُقدَّم؟ الجهاد، أي: الله أمر الناس أن يجاهدوا في سبيله، هذا الحكم الشرعي، أليس هكذا؟ أي: يقاتلوا، ورجع إلى مَن؟ ورجع إلى نفسه يقول: (إذاً هذا القتال هو فعلاً حكم إلهي لكن هو بالتأكيد فيما إذا كان الناس مستطيعين) ثم يرى نفسه (لسنا مستطيعين، ولا معنا، وليس لدينا، وليس بإمكاننا، ولا، ولا...) إلى آخر ما يمكن أن يُجمِّع من أشياء؛ ليُقدِّم القضية في الأخير وكأنه قد أخرج نفسه من هذا الخطاب، ومن هذه المسؤولية (لم يعد علينا شيء، إذاً فلم يعد يَلزمنا) لا يَلزمنا، أي: لا تناله المسؤولية فيصبح مخاطباً، في الأخير يخرج نفسه بهذه الطريقة، لم يعد حتى مخاطَباً؛ لأنه (لا يَلزمنا، ولا يتوجه الخطاب إلينا بشكل مُلزِم إلاّ إذا كنا مستطيعين، والاستطاعة تعني كذا، كذا، كذا...) وكأن هذه الأشياء يجب عليها هي أن تتوفر تلقائياً.

هكذا يأتي التعامل مع القضايا، حتى قُدِّمت القضايا الهامة الكبيرة التي هي أساسية، بل يتوقف عليها إقامة دين الله، وإقامة الأمة، أصبحت في قائمة المنسيات والمستحيلات، فعلاً والمستحيلات؛ لأنها قُدِّمت على

هذا النحو، أي: صارت النظرة إليها على هذا النحو: النظرة التجزيئية. القرآن الكريم لا، أسلوبه مختلف، يُقدِّم لك القضية، ثم يُقدِّم كل ما له علاقة بها، ويدفع إليها إلى أن تراها لا تخرج عن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(البقرة:١٨٥) ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيكُم مِنْ حَرَجٍ﴾(المائدة:٦).

لاحِظ في موضوع معرفة الله سبحانه وتعالى، وجدنا في السور السابقة كلاماً كثيراً في موضوع معرفة الله، وفي هذه السورة بالذات، نرى أيضاً داخلها منهجاً، ونحن نقول أكثر من مرة: نحن نريد أن نعرف كيف نتعلم، أن نعرف كيف نتعلم فعلاً، فنعرف كيف هو المنهج الصحيح الذي يعطي المعرفة بالله سبحانه وتعالى، وبكتابه، وبرسوله، وباليوم الآخر، وبهذه الحياة الدنيا، وبالإنسان، وبالأمور كلها.

يقول سبحانه وتعالى في هذه السورة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾(الأنعام:١) هذه السورة نزلت في مكة، وهي من السور القديمة، قد تكون ربما في نحو منتصف فترة مكة، أي: هي نزلت تُخاطِب مجتمعاً كافراً، مشركاً، أليس كذلك؟ مجتمعاً مشركاً كافراً كله، محيط مكة وما حولها؛ كان المؤمنون لا يزالون قليلاً.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾(الأنعام:١) أليس هنا في المقدمة جاء باسمه سبحانه وتعالى (الله)؟ في بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وفي قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أليس اسمه هنا؟ ثم يذكر: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ باعتبار السموات والأرض فيها آيات كثيرة جداً لعباده، سيأتي في بقية السورة بتفاصيل كثيرة حول ما في السموات وما في الأرض، وعلى أيِّ أساس قُدِّمت للناس، كيف ينظرون إليها؟ لماذا يأتي في المقدمة باسمه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وهو يُخاطِب مشركين كفاراً ويراد لهم أن يدخلوا في الإسلام؟ بينما المنطق الآخر من بعد الإسلام، المنطق الذي جاء من بعد (منطق المتكلمين) لا تقولها بهذه الطريقة! حاول أن تسلك طريقة أخرى: أن تلفت نظر الإنسان أولاً إلى هذه الأشياء، أيُّ شيء من هذه المخلوقات، تقول له: هذا مُحدَث، وهذا المحدَث علامات أنه مُحدَث كذا كذا كذا، ولا بُد له من مُحدِث، وفي الأخير: إذاً هناك مُحدِث، ليس وقت أن تقول: الله، بناء على ماذا؟ بناء على أن الأصل في الموضوع بالنسبة للإنسان هو أنه لا يعرف الله نهائياً!

لهذا أفرطوا في هذا الموضوع إلى درجة أنه تساءلوا: هل يصح أن يُقدَّم القرآن الكريم في الاستدلال على الله للآخرين؟ قرروا في الأخير بأنه (لا؛ لأنه عندما نأتي إلى القرآن الكريم لنستدل به على الآخرين، وهم لم يؤمنوا بالله، ونحن نريد منهم أن يؤمنوا بالله، والإيمان بالقرآن لا يأتي إلاّ من بعد الإيمان بالله، فهذا يلزم منه (الدور) لأن الإيمان بالقرآن يتوقف على الإيمان بالله، ونحن نريد من خلال القرآن أن يؤمنوا) فيكون معنى هذا (الدور) الذي يسمونه، وهو: توقف الشيء على نفسه، أي: سنقدِّم القضية: الإيمان بالله متوقف على القرآن، والقرآن متوقف على الإيمان بالله، قرروا في الأخير: لا، القرآن هناك على جنب، البعض من أصحابنا الذين لا يزال عندهم حياء قليلاً من الله أنه (لا، على الأقل الآيات المثيرة لدفائن العقول، مثل آية ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ﴾(الغاشية:١٧) ونحوها).

إذاً هنا القرآن تجد فيه قضية أساسية ترسم منهجاً، وتحكي واقعاً في نفس الوقت، لا يأتي في الغالب أيُّ شيء من تفاصيل هذه المخلوقات إلاّ ويأتي باسمه سبحانه وتعالى فيها؛ لأن القضية لم تُقدَّم على هذا النحو الذي يتصوره المتكلمون: استدلال على الله؛ لإثبات وجود الله، إن الله يسمي نفسه – سبحانه وتعالى – في القرآن بأنه الظاهر، هو أظهر من مخلوقاته، لا يُقدِّم الأشياء على أساس أنها للاستدلال عليه؛ إنما لتقرير ربوبيته، ألوهيته، وحدانيته، مُلكه، وليلفت أنظار الناس إلى مظاهر قدرته، ونعمته، وحكمته، وعلمه، أمَّا بالنسبة له هو فهو معروف عند عباده، أي: هو غرز فيهم معرفته: أن هناك (الله) هو خلق السموات والأرض، هو خلَقنا.

وهذا هو الشيء الطبيعي، الشيء الذي لا بُد منه، لاحِظوا الآن نحن نرى مثلاً في حياة الناس: أيُّ شركة يمكن أن تصنع صناعة دقيقة جداً ثم لا تذكر اسمها عليها؟ هل هناك شيء؟ لا يوجد، هل يمكن أن يخلق الله هذا الإنسان الذي يُعتبَر من أدق مخلوقاته، هذا الإنسان نفسه من أدق مخلوقاته ثم يُصدَّر مجهول الهوية؟! نحن نرى (Made in Japan) أو (Made in U.S.A)[1] أو أيَّ بلد آخر، أليس هكذا؟ الإنسان من داخل (صنع الله) لم يُصدَّر مجهولاً على الإطلاق.

لو أن المسألة أن الإنسان ليس مفطوراً على معرفة الله لأصبحت مشكلة كبيرة جداً أمام الرسل أنفسهم، يأتي رسول يدعو الناس إلى الله سيقولون: مَن الله؟ يحاول أن يحاورهم بمنطق، يريد أن يتحدث معهم بمنطق

(١) (...Made in): من اللغة الإنجليزية، وتعني: (صُنِعَ في...).

فلسفي، هم لا يعرفونه أصلاً، وإن أراد أن يتحدث معهم بمنطق هكذا سيقولون: ليس هناك الله، لكن تجد القرآن قدَّم استبياناً - كما نقول أكثر من مرة - قدَّم استبياناً من داخل الأمم كلها التي عرض للحديث عنها، أمم متقدمة من أيام نوح، كل استفسارات الأمم حول الشخص نفسه المرسل إليهم، أنه لا يمكن أن يرسل الله مثلك، أو ائتنا ببينة على أنك رسول من الله، هات لنا بينة على كذا كذا، هذه مشكلتهم، أو مشكلتهم أنه كيف يريد أن يجعل الآلهة إلهاً واحداً (لا، الله وكذا وكذا وكذا...إلخ) ويقدِّمون آلهتهم ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾(ص:٥). ليس هناك استفسار يدل على أنهم لا يعرفون الله، وليس لله معرفة لديهم على الإطلاق، هم يعرفونه في أذهانهم، في أنفسهم، مغروزة فيهم معرفة الله، ولا يستطيع الإنسان أن يعرف متى بدأ يعرف أن هناك الله، لا يستطيع الإنسان أن يعرف متى.

فكانت غلطة كبيرة جداً نرى القرآن ينسفها كلما يتحدث عن السموات والأرض، منها هذه الآية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في المقدمة ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾(الأنعام:١) هذا عند المتكلمين استدلال غير منطقي! كيف يأتي باسمه وهو يخاطب مشركين، ويريد منهم أن يؤمنوا به؟! ولهذا في الأخير فعلاً أثروا تأثيراً سلبياً من النوع الذي نقول: تأثير لا شعوري - تقريباً - تأثير لا شعوري، ما عرفنا إلاّ وقد صرنا لم يعد هناك قيمة للرسل عندنا، ولا قيمة للقرآن عندنا، وأصبحنا جاهلين بالله جهلاً خطيراً جداً ورهيباً جداً، بحيث ترى الآيات مثل هذه الآيات التي هي نزلت على المشركين، الكافرين، نرى أنفسنا بأمسّ الحاجة إليها نحن ما بالك بالمشركين الأولين، فعلاً أن هذه الآيات لا نزال في أمسّ الحاجة، والمجتمع المسلم بكله بأمسّ الحاجة إليها، وهي أساساً نزلت تخاطب مشركين.

كيف يمكن أن يقول الله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وهم لا يعرفون ماذا يعني الله، ولا يعرفون الله؟! هل هذا ممكن؟! إذاً، فهو يؤكد لك أنه يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وهم يعرفون الله، بل يعرفون الله كإله مقدس فعلاً، لا يوجَد أحد يعرفه كإله مثلاً إله ليس جيداً، بل كإله مقدس، بل ملائكته معروفون، الملائكة معروفون وخلْق مقدس عند البشر أيضاً.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إذاً انتهى (علم الكلام) جاء بالموضوع هنا: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وهذا يريد أن يظل يأخذ ويرد، وجدل، وكلام طويل، وتفكير طويل على ماذا؟ أن يثبت أن الله هو الذي خلق السموات والأرض؛ من أجل أن يجعل أحدهم يؤمن بالله؟! الموضوع محسوم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الناس يعرفون الله، وهو الذي خلق السموات والأرض، وهم يعرفونه. ثم عُد إلى المشركين الذين نزل القرآن يخاطبهم وإذا هم فعلاً ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾(الزخرف:٩) يعرفونه ويعرفون أنه عزيز عليم، وفي آيات أخرى: ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(العنكبوت:٦١).

ارجع إلى باقي الأمم (مَطْلَع مَطْلَع)[١] إلى المجتمع البسيط، لا تقول: إنما هو فقط في طبقة المثقفين، أو الفلاسفة، أو نوعياتهم، بل المجتمع نفسه، يذكر عن النساء في أيام يوسف عندما كان في السجن، عندما سألوا النساء عنه: ماذا قلن؟ في البداية عندما دخل عليهن ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ لله، أليس معروفاً؟ معروف عند النساء المصريات اللاتي هن لفيف من المدينة؟ لا تقول: إنهن مجموعة متكلمات، أو فيلسوفات، نسوان، ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(يوسف:٣١) ويعرفن أيضاً الملائكة، هل قال لهن ذلك يوسف؟ هل أصبح يدعوهن؟ أبداً، هو لم يكن يدعو إلى النبوة، فقط دخل عليهن وهن يردن أشياء أخرى، فماذا قلن؟ ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ هل بعث إليهم إبراهيم، أو يعقوب؟ متى ذهب إليهم يعقوب؟ ما ذهب إلاّ بعد أن أصبح يوسف ملكاً.

إذاً مَن الذي علمهم؟ هل كان يوجد متكلمون هناك؟! المتكلمون "حنبوا"[٢] هم في الأخير مِن كبارهم مَن يتمنون الإيمان الفطري الذي عند أطرف عجوز أن إيمانهم مثل إيمانها، وهو يقول: من أول ما يجب على الإنسان هو: أن يعرف الله! وقد فطره الله على معرفته، ثم لا تدري وأخرجوه هناك مِن الله. هنا انتهى الموضوع، أغنى عن أبواب الاستدلال، والأحداث، ومحدِث، وحوادث، وتلك الأشياء كلها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ يخاطب مشركين، فكيف يُقدَّم الإسلام من بعد للبشر؟! وكأن الإسلام جاء ليجعلهم جاهلين تماماً بالله! لينسف الله من أذهانهم! حتى يأتي المتكلمون يقولون: نرد القضية، ويأتي منطقهم.

(١) مَطْلَع مَطْلَع، تعني: بشكل تصاعدي.
(٢) حَنِبُوا: من اللهجة العامية، وتعني: أصبحوا في مأزق.

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾(الأنعام:١) مع معرفتهم أن الله هو الذي خلق السموات والأرض، فيعدلون عنه إلى آلهة أخرى يعبدونها، ويجعلونها شركاء له، يعدلون به غيره.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾(الأنعام:٢) ويعرفون أن الله هو الذي خلقهم، والناس جميعاً يعرفون أن الله هو الذي خلقهم، على اختلاف لغاتهم فيما يساوي كلمة (الله).

ثم يُبيِّن ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِن طِينٍ﴾ سواءً بالنسبة لأول إنسان - إذا كان المقصود فقط الأصل، أصلكم هو آدم - وأيضاً الإنسان نفسه - كما في آيات أخرى - هو يُخلَق من عناصر هذه الأرض حتى وإن كان بطريقة أخرى، في أن يكون مثلاً من ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِن مَاءٍ مَهِينٍ﴾(السجدة:٨) هذه العناصر هي التي تُعتبَر مجموعة مكونات هذه الأشياء التي تُخلَق منها.

هذه الآية تدل فعلاً وبوضوح على أن الإنسان خُلِق ابتداءً على هذا النحو، أول هذا الجنس الذي هو الإنسان أوله آدم الذي خُلِق ابتداء، وبُنِي بناءً من طين ﴿مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾(الرحمن:١٤) ألم يقل هكذا في آية أخرى؟ لماذا يحاولون أن يجعلوا أصل الإنسان حيواناً آخر - مثلاً - إمَّا قرد أو حيوان آخر وتطور، تطور إلى أن أصبح هكذا؟! هذا يكذبهم، القرآن الكريم يكذبهم، والواقع يكذبهم؛ لأنه لماذا لم نرَ إلى الآن على مدى القرون الماضية أناساً (جُدُد) يتطورون من ذلك الحيوان الآخر؟ لو أن المسألة على هذا النحو لَمَا كان الناس فقط هم آخر مَن تطوَّر على مدى الزمن، لكان هناك أناس جُدُد، لا ندري إلاّ وهناك أناس ليس أصلهم من آل فلان، ولا من آل فلان، ولا من الشعب الفلاني "جداد عاد ذيولهم اهتلت"[1] فيكون إنساناً جديداً! لا، منطقهم هذا هو فعلًا منطق من يستهين بالإنسان.

الله يؤكد في أكثر من آية، ولاحِظ كيف هذه الأشياء العجيبة مما يدلك فعلاً القرآن يشهد بأنه من عند الله ﴿أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(الفرقان:٦) يوثق توثيقاً لقضايا مُعيَّنة، هو يعلم أنه سيأتي فيما بعد من يُقدِّم أشياء مغلوطة، من يُقدِّم أفكاراً باطلة، ونظريات باطلة حول خلق الإنسان مما أصله، عندما تصدق بأن أصلك قرد هل سيبقى لك احترام عند نفسك ويبقى للآخرين احترام لديك؟ لا، أن تعرف بأنك خلقت بيد الله كما قال الله في آية وهو يتكلم مع إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾(ص:٧٥) وخُلِقتَ خلقاً خاصاً، وبُنِيتَ بناءً لم تأتِ في إطار تسلسل نهائي، بُنِيتَ بناء من جديد، يبني آدم، يخلقه من طين كما قال: ﴿صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ مثلما تصنع (جمنة) أو أيَّ شيء من هذه، أدوات الفخار، وترى بأن الله ذكر أنه استخلفه لمهمة كبيرة، في نفس الوقت أسجد له ملائكته، هنا ستعرف فعلاً أن الإنسان كرمه الله وهو قال بعد: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾(الإسراء:٧٠) كرمه الله فيحس الإنسان بأنه كريم، بأنه عنصر مكرَّم، هنا ممكن أن يحترم الإنسان نفسه، ويحترم الآخرين، ويكرِّم الآخرين؛ ولهذا تراهم لا يكرِّموننا؛ لأنهم يروننا مجموعة من أحفاد قرود! هكذا عندهم، عندما لا يكرمون بقية البشر؛ لأنهم يعتبرونهم مجاميع شعوب هي أصلاً منحدرة من قرد، هل سيكون للقرود احترام عندك؟ عندما ترى قطيعاً من القرود، ليس لهم احترام عندك.

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾(الأنعام:٣) هو الذي خلق السموات والأرض، هو الذي خلقكم، هو أيضاً إلهكم، وليس إلهاً في عاصمة كذا فقط، بل في السموات وفي الأرض ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ يحيط بكم علماً ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ ماذا تعني مجموع هذه الثلاث الآيات؟ هو أن يكون الإنسان مستشعراً لشهادة الله ورقابته عليه ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾(فصلت:٥٣) أنه يعلم سرك وعلنك، ويعلم كل ما تعمل، هذه القضية أساسية، أي من الغايات المهمة لمعرفة الله: أن يحصل لديك تذكّر لله، استشعار لرقابته، وشهادته، وعلمه بكل ما تسر وتعلن، وبكل ما تعمل.

ألم تُقدَّم القضية هنا أساسية؟ وتجدها هي تبدو القضية المهمة في موضوع معرفة الله، بينما قُدِّم في موضوع آخر! ما الذي قُدِّم وكأنه المهم، وكأنه الغاية الرئيسية في موضوع معرفة الله؟ هو أنه لا يدخل في نفسك أنه شبيه لأحد من خلقه! أليست هكذا؟ هذه القضية - كما نقول أكثر من مرة - هي قضية لا وجود لها في الذهنية نهائياً، لا وجود لها، ذهن الإنسان غير قابل على الإطلاق أن يُشبِّه الله ويمثله نهائياً، إذا تُرِك على فطرته، وفيما إذا تركه الذين يحاولون أن يُقدِّموا عقائد تشبيهية، إذا تركوها وسكتوا تلقائياً سيبقون أناساً طبيعيين، يُقدِّم لهم معرفة الله بهذا التعبير، في نفس الوقت لن يحصل تشبيه على الإطلاق، بمعنى أنه من الأشياء المهمة في معرفة الله أن يصل الإنسان إلى استشعار رقابة الله، وشهادته، واستشعار أنه أمام

(١) ما بين القوسين من اللهجة العامية، (جداد): جمع جديد. (عاد ذيولهم اهْتَلَّتْ): زالت ذيولهم، وتطوروا من قردة إلى بشر، كما يزعمون.

مَلِك السموات والأرض، الله سبحانه وتعالى، وخالق السموات والأرض، وخالق ما فيهن، والعليم بكل شيء، المحيط علماً بكل شيء. هذه المعرفة قد تُعطي الإنسان آثاراً مهمة، أو نقول: هي التي ماذا؟ تجعله يتحرك بشكل صحيح، يكون خائفاً من الله، متقياً لله، محباً لله، مهتدياً بهدي الله، ذاكراً لله.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾(الأنعام:٤) لاحِظ مثلاً بالنسبة لهذه الآيات كواحدة من الآيات التي يأتي البعض يعمل تشكيكات حولها ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾(الأنعام:٣) أليست الآية هنا قُدِّمت بشكل يأتي الآخرون أحياناً يحاولون أن "يُشَطِّبُوا"[١] على الموضوع؟! إذاً هذه هي الخطاب الطبيعي للناس، يُقدِّمها للناس فلا يحصل تشبيه ولا يحصل تساؤل، لا يحصل تساؤل لا عن مكان، ولا زمان، ولا شيء لماذا؟ لأن الإنسان مفطور هكذا، ولأن أساليب الكلام الذي قُدِّم في القرآن الكريم في معرفة الله سبحانه وتعالى يكون بهذا الشكل الذي يملأ ذهنيتك بقضايا مهمة جداً، يجعلك منشغلاً باستشعار لرقابة الله عليك وعلمه بكل ما تعلن وتسر وتكسب، وخوفك منه هو الذي يملأ ذهنيتك؛ لهذا لا نعتقد فعلاً بأنه يحصل التساؤلات عن أين، وعن مكان، وعن أشياء من هذه إلاّ من قِبَل آخرين، من قِبَل الفارغين فعلاً، من قِبَل الذين ليس لديهم لا شغل ولا عمل، ممن قُدِّمت معرفة الله لديهم بالشكل الذي لا يُوجِد لديهم استشعاراً في النفس، تأثيراً في الوجدان.

القرآن الكريم يخاطب وجدان الإنسان؛ ليكون فعلاً متأثراً، عندما يكون وجدانك متأثراً تستشعر رقابة الله، تخاف الله، تعرف مدى حاجتك إلى الله، هكذا لا يحصل عندك أيُّ تساؤلات أخرى نهائياً، لا يحصل أيُّ تساؤلات.

لَمَّا قُدِّمت معرفة الله بشكل بعيدة عن التأثير الوجداني، بعيدة عن الخطاب العملي، قُدِّمت مجرد أبحاث، نظريات، وتفكيرات، و"تطانين"[٢] عاشوا في حالة فراغ وإذا بهم ماذا؟ يأتي تساؤلات، ويأتي استشكالات ثم يتصور أن الناس قد أصبحوا مثله، أن أيَّ أناس يسمعون تلك الآية سيحصل عندهم "تطانين" ولا يعلمون إلاّ وقد صاروا مشبِّهين، أو مجسِّمين، أو محدِّدين لله، أو أشياء من هذه، فيسرع لينقذهم "فيلخبطهم"[٣] ولا يتركهم على فطرتهم.

قلنا في مرة سابقة: إنه مما يبدو أن من القضايا الأساسية في معرفة الله، في هذا الدِّين، بل الموضوع بكله: أن الأشياء كلها قُدِّمت عملية، يجعل نفسك نفساً مليئة بماذا؟ باستشعار أشياء كثيرة، والاهتمام بأشياء كثيرة، وحاجة إلى الله في كل هذه الأشياء، وتوجه إلى الله في كل هذه الأشياء فلا يحصل عندك أيُّ تفكير، أو "تطانين" نهائياً؛ لأن معرفة الله هي أيضاً مرتبطة بالجانب العملي، جانب عملك في الحياة، تجارة، زراعة، سفر، أشياء من هذه، وعملك في سبيله، في ميدان الجهاد في سبيل إعلاء كلمته، هنا ترى نفسك وأنت مزارع، أو ترى نفسك وأنت تاجر دائم الحاجة إلى الله، حاجة عملية، هذه الأشياء تكون بمعزل عن أن تترك ذهنك في حالة من الفراغ يمكن أن يحصل فيه "تطانين" أخرى، فتعيش حالة من الحاجة إلى الله، في نفس الوقت بالنسبة لك وأنت تعمل في سبيل الله لإعلاء كلمته، هنا تشعر في نفسك بحاجة مستمرة ودائمة إلى الله، وحاجة ماسَّة إلى الله، وأمامك قضايا كثيرة جداً، سواءً وأنت تعمل في الحياة: تجارة، وزراعة، وأشياء من هذه، أو وأنت تعمل في سبيله، لا تعيش حالة من الفراغ فيحصل عندك "تطانين" أو تساؤلات، أو أشياء من هذه.

لذلك نقول أكثر من مرة: يبدو أن منبع هذه الأشياء جاء مِن عند مَن؟ مِن عند الفارغين، فلاسفة أو متكلمين فارغين فعلاً، يكون في مدرسة مُعيَّنة، مرتبات مؤمَّنة، وعطايا من السلطة الحاكمة كيفما كانت ليس له موقف منها في الغالب، لا يبالي، لا يتحرك في سبيل الله لإعلاء كلمته؛ لأنه يعتقد أنه قد صار مشتغلاً بأهم عمل وهو أنه يحافظ على الناس ليعرفوا الله بتلك الطريقة التي قد رسمها، وأن يحاول أن يجيب على الملحدين، أو يحاول أن يدعو المشركين إلى الإسلام، قد أصبح هذا عمله!

فلا هو منشغل بعمل في سبيل الله فيرى نفسه بحاجة إلى الله، وهداه، والالتجاء إليه، والاعتصام به، والاستعانة به، واستمداد نصره، وأشياء من هذه، ليست ذهنيته متعلقة بالله، ولا هو بحاجة إلى الله من الناحية الأخرى كمزارع، وتاجر يتحرك في هذه الحياة، إذا كان مثلاً متحركاً في سفينة مليئة بالبضائع، قد صار

---

(١) لتشطيب: من العامية في لغة أهل العمارة والبناء، وتشطيب الدار يعني: استكمال العمل في الدار من بعد البناء.

(٢) التطانين: من اللهجة العامية، وتعني: الوَساوِس.

(٣) يُلَخْبِطُهم: من اللهجة العامية، وتعني: يوقعهم في شبهة.

يقول: (يا الله سترك عسى ألاّ تأتي عاصفة، يا الله اصرف عنا كذا) لأنه عارف أنها قد تأتي عاصفة قد تقضي على رأس ماله، أو تغرق السفينة سواءً كانت بخارية أو على الريح مثلما كان سابقاً. أو مُزارِع قد أصبح ينظر (يا الله عسى أنه سيأتي مطر) إذا لم يأتِ مطر وضع البذور في الأرض وتوكل على الله فيكون ذهنه دائماً مربوطاً بالله، هنا يكون الإنسان بعيداً عن أيِّ شيء آخر.

أولئك لَمَّا لم يكونوا لا مزارعين، ولا تجاراً، ولا فلاحين، ولا مجاهدين في سبيل الله، فقط مطننين وأمورهم مؤمَّنة لهم، يظل دائماً معه "تطانين" قد أصبح الباري عمله، يريد أن يسأل كيف هو؟! ومن أين؟! وكيف؟! وإذا! ويتصور أنه ربما الآخرون قد يحصل عندهم أن الله كذا؛ لأنه في حالة فارغة، لهذا تجد في القرآن الكريم كيف حشر أمام الإنسان أشياء كثيرة جداً، كثير من نعمه، ألم يتحدث عنها في القرآن؛ لأجل الإنسان يتذكر، فيتذكر أنها من الله، ويعطيك مجالات عملية، حركة في الحياة تستشعر حاجتك إلى الله، ويَعظم عندك الله، وتحب الله، وتجل الله، لن يحصل عندك - وذهنيتك مرتبطة بالله - لا يحصل عندك تساؤل: أين، أو في، أو كيف، أو من هذه التساؤلات نهائياً.

معرفة الله مرتبطة أيضاً عملياً، لا يأتي الأخطاء إلاّ من عند الفلاسفة والمتكلمين الفارغين، حتى في هذا العصر نفسه. بعد الثورة الصناعية، وبعد اكتشافات كثيرة، يحكون بأن المبدعين والمكتشفين والعلماء هؤلاء كثير منهم يؤمنون بالله، ويَعظم إيمانهم بالله، ووجدنا المنطق هناك نزل في الساحة إنكاراً لله، وأنه إذاً ما دام لم يمكن أن نعرف الله من خلال المعمل، والمختبر وهذه الأشياء فليس هناك شيء! هؤلاء فارغون، لا مبدعون، ولا علماء، ولا صناعيون، ولا شيء، الفارغون من الفلاسفة، وفي الأخير يُقدِّمون إلحاداً، يأتي مِن عندنا فارغون أيضاً حقيقة، مِن عندنا فارغون، أي: متأثرون بـ(علم الكلام) ثم أخذ ورد حول هذا الموضوع!

هنا يُقدِّم المنطق من هنا بأنه هجوم على المادة! أليسوا يقولون: (هجوم على المادة)؟ والآخر يقول: (هجوم على ما وراء المادة)! المادة وجدناها في القرآن الكريم من أهم المظاهر التي تدفع بالإنسان إلى أن يَعظم إيمانه بالله سبحانه وتعالى، وأنه لا يمكن لمن يعمل في أشياء مثلاً في الطب، أو في الفلك، أو فيما يتعلق بعلوم الطبيعة: جيولوجيا، أو علوم بحار، أو أيَّ شيء من هذه، إلاّ ويرى مظاهر تبهره، يزداد إيمانه بالله، وفعلاً خرجت كتب تحكي هذه، وقصص كثيرة تحكي من كانوا يؤمنون.

إذاً ليسوا ملحدين، الإلحاد جاء من عند الفلاسفة الفارغين، وسياسيين لهم أهداف أخرى؛ ولهذا يقولون فعلاً: إن اليهود وراء هذه: وراء الثقافة الإلحادية، والفلسفة الإلحادية، وأشياء من هذه، هم كانوا وراء (الماركسيين).

إذاً من هذا نعرف فعلاً بأن - ولهذا في الأخير قُدِّم عند البعض بأنه إذاً زحمة المادة وثورة المادة من خلال هذه الصناعات ربما تقضي على الله، لا، اعرف من أين منبعها؟ - منبعها من عند الذين لا يعملون في هذه الحياة في المجالات العملية؛ لأن الله جعل معرفته عملية؛ إذا كان الإنسان يتحرك ويعمل، وأنت فلاح "بِفِرْستك" تجد كثيراً من مظاهر قدرة الله، ونعمته أمامك، وأنت عالِم في أيِّ مجال من المجالات من هذه العلوم تجد كذلك، وأنت تاجر تجد كذلك، تسافر في البر والبحر تهتدي بالنجوم، وفي نفس الوقت تطلب من الله أن يستر عليك لا يلقاك قُطّاع طريق، أو وحوش، أو أيُّ شيء من الكوارث.

فجاء من داخلنا هجوم على المادة، وأن القضايا أساساً عقلية، وأن الأساس هو العقل، والآخرون قالوا: لا، الأساس هو المادة، وإذا أيُّ شيء لا نحسه، ولا نراه، ولا ندركه من خلال المختبر، فلا وجود له!

هذا كله يجب أن نفهم وبالاستقراء عندما تبحث تجد أن هذا هو منطق الفارغين؛ لأنه كيف سيقول: لا وجود لِمَا لا يجده في المختبر؟! والذي في المختبر، أيُّ عالِم مثلاً في الفلك، أليس في أكبر معمل أمامه يتلمس فيه مظاهر خلق الله، وقدرته، وحكمته؟

إذاً فيجب أن نفهم هذه القضايا نفسها، نفهمها حتى لا نصل إلى ما وصل إليه الآخرون، الذين صاروا يعتبرون أن الثورة الصناعية وزحمة الإبداعات ستقضي على الدِّين نهائياً، نحاول أن نتشبث بالعقل، نرد عليهم، وأن القضايا هي غيبية، والقضايا هي كذا، وتنكّروا للمادة، وعصر المادة، وزحمة المادة، ومن هذا القبيل، حتى وقعنا في ضلال بسبب الفارغين هناك، وبسبب الفارغين عندنا حقيقة.

لو يعمل الإنسان استبياناً في أوساط الناس، هل سترى أحداً عنده تشبيه لله، أو تحديد لله؟ أبداً، إلاّ أن يأتي طرف يُقدِّم عقيدة باطلة، ويقحِمها، ويُقدِّمها عقيدة مرتبطة من جهة الله يقول لك: (يجب أن تؤمن بكذا) أليسوا يحتاجون إلى هذه الطريقة؟ يحتاج إلى أن يجعلك تتصور الله، وأشياء من هذه، يُقدِّم لك هو من عنده،

ويقحِمها لك في ذهنك كعقيدة يجب أن تعتقدها، هذا نفسه دليل على أن التشبيه لا مكان له في الذهنية؛ لأنه يحتاج إلى أن يُقدَّم ويحتاج إلى أن يكون وراه من يتابعه ليجعله مشبِّهاً باستمرار، لو يبتعد عنه قليلاً لذهب، يذهب التشبيه نهائياً.

الإنسان أعماقه واسعة، والله هو الذي فطره، هو الذي خلقه، هو الذي برمجه تماماً، وغرز فيه معرفته، لا مكان للتشبيه لله في ذهنيته على الإطلاق، لا لتشبيهه، ولا لتحديده، ولا شيء نهائياً.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾(الأنعام:٤،٥) هو بيَّن هناك بأن الله سبحانه وتعالى يأتي بالآيات، ولاحِظ دائماً منطق القرآن الكريم كله يأتي بشكل آيات بينات، كلمة ﴿آيَاتِ﴾ نفسها تعني ماذا؟ علامات، بينات غاية في الوضوح، ما تأتيهم من آية من آيات الله، أي: كلمة ﴿آيَةٍ﴾ هي تحمل في مضمونها وضوحاً، معناها: علامات، ومع هذا تجدهم معرضين! ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهذا في هذه السورة، وهي من السور المتقدمة، يذكر: ﴿فَسَوفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ سيأتي حقيقة كل ما كانوا يسخرون منه، سينكشف في الواقع، مع مسيرة الحياة سينكشف، سيسخرون هم من أنفسهم، ويتجلى بأنهم هم من يجب أن يسخروا من أنفسهم.

عندما يقول: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ كلمة (الحق) هي كلمة واسعة جداً، ولا تعني هنا أن الإشكالية بأنهم منكرون لله، لا يوجد، الحق الذي قُدِّم إليهم: هذا القرآن من الله، رسالة محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) التفاصيل في داخل هذا الدِّين، هذا ما تعنيه كلمة الحق.

﴿فَسَوفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ تأتي الشواهد من واقع الحياة على أحقية هذا الحق، وعلى ثبوت هذا الحق، وعلى أنه حق كما قال في آية أخرى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾(فصلت:٥٣) إذاً هذه نفسها بعد أن تصدَّرت السورة بقول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾(الأنعام:١) ألم يذكر السموات والأرض؟ هذه تعطيك نظرة إلى هذه الحياة، تستقرئ من خلال أحداثها، من خلال المتغيرات فيها، ما يتجلى فيه الحق بمختلف التفاصيل، هذا هو الميدان الواسع، والميدان الهام الإيجابي الذي يزداد الإنسان فيه بصيرة وإيماناً ووعياً، هذه النظرة نُسِفت؛ لأنهم ربطوا موضوع حق، وموضوع أن تنظر إلى هذه الحياة بتفاصيلها: (للاستدلال على أن هناك الله) ويظل طول عمره وهو محاول أن يثبت أن هناك الله! هنا يقول: فعلاً الحياة هي ميدان واسع جداً، يتجلى فيها كل الشهادات على أن ما قدَّمه هو حق، والحق الذي لا ريب فيه، هو الحق الذي البشر بحاجة إليه، هو الحق الذي ينسجم مع فطرة الإنسان، ومع سُنن هذا الكون.

إذاً نلمس من هذه الآية أول خسارة خسرناها على أيدي المتكلمين هذه (﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(يونس:١٠١) ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ﴾(الغاشية:١٧) ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا﴾(ق:٦)) وأشياء من هذه، لماذا ننظر؟ قالوا: (لتستدل، ويثبت لك أن هناك الله)! القضية المفروغ منها تماماً، ألم يشغلونا في لا شيء؟! شغلونا بلا شيء فعلاً في قضية هي منتهية، هي ثابتة، نبحث عن الله والله قد فطرنا على معرفته، نحن وكل المخلوقات، هذه واحدة من الأشياء، أو أن تبحث وراء أن لا أحد يشبِّه الله، والله هنا في القرآن من خلاله، والإنسان نفسه، هذه القضية مستحيلة. إذاً لماذا تشغلنا دائماً وأنت تريد ألاّ يحصل تشبيه، وأن تزيل التشبيه، وتظن أن هناك آيات تفيد التشبيه، وأشياء من هذه، يشتغلون في لا شيء، هذه هي الخلاصة، يشتغلون ملاحِقين لا يحصل كذا، لا يحصل كذا، لأجل لا يحصل تشبيه، أو تفهم تشبيهاً، وأشياء من هذه، وليس هناك مكان للتشبيه نهائياً، إذاً أليست قضية محسومة؟ يضيعون أوقاتنا، ويضيعون قضايا كبيرة لدينا، ويصرفون نظرتنا عن القضية الهامة.

وتراهم في نفس الوقت ضحية هذا الانصراف هم فعلاً، لم يعودوا يبصرون في الحياة الأشياء التي يتبيَّن من خلالها مظاهر تدبير الله الواسع، فيرون كيف يحصل لأوليائه من تأييد، يرون كيف يضر أعداءه، يرون كيف التغييرات التي كانت غير متوقعة، والتي كانت في الذهنية مستحيلة، ويرون، ويرون... إلى أن صاروا لم يعودوا يرون هذه الأشياء كلها؛ لأن ذهنه كله مشغول بالبحث عن الله ليثبت أنه موجود، وهو يقول في القرآن: الظاهر ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾(الحديد:٣) هو الظاهر، أظهر من مخلوقاته، بالنسبة لذاته لا تُدرَك ذاته، ولا يمكن للإنسان، ولا يحصل في باله أن يتصور على الإطلاق، ذهنيتك مُقفَلة تماماً. في منطق الإمام علي في نهج

البلاغة هناك عبارة توحي بهذا فعلاً لا يمكن أن يطلَع في ذهنيتك أيُّ صورة إلاّ صورة من الأشياء المشاهدة أنت تعرف بأنها ليست الله.

إذاً ليس هناك تشبيه، فقط الآخرون الذين يُقدِّمون عقائد باطلة، يجعل الصورة التي هي صورة خليط من أشياء من مشاهداتك، أنت تقضي بأن هذه الصورة ليست الله، يُقدَّم لك بأنه لازم أن تعتقد أن الله كذا.

عندما يعمل الإنسان استبياناً في أوساط الناس يجد أنه ليس هناك مكان للتشبيه نهائياً، الذين لم يقرؤوا علم كلام ما زالوا على فطرتهم، وهم يقرؤون القرآن، أليسوا يقرؤون القرآن ويمرون بهذه الآيات؟ اذهب انظر في أوساطهم، هل هناك تشبيه، أو تحديد؟ لا يوجد نهائياً، إذاً فالناس خسروا خسارة كبيرة جداً في صرف النظرة، وصرف الأذهان، وصرف التفكير عن المجال الذي يريد القرآن أن يشتغل فيه، وهو ميدان واسع، وميدان أساسي بالنسبة للمؤمنين لو توجهوا إليه، ميدان أساسي لكثير من الإبداعات، والاختراعات، والاكتشافات، وبناء الحياة، فيسبقون الآخرين.

لاحِظ كيف جاءت العبارة: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾(الأنعام:٥) هل يمكن أن تأتي العبارة بمعنى كذبوا بالله، في أن هناك الله؟ ﴿بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ هل يقال لله حق جاءهم؟ لا يقال إن الله حق جاءهم، لا تأتي بهذه العبارة، لكن لا، الحق الذي هو من جهة الله نزله: هذا القرآن، والرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ومضامين هذه الرسالة، كذبوا بها ﴿فَسَوفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾(الأنعام:٥) وهذه سُنة.

إذاً الآن أليست تتجلى لنا أشياء رهيبة جداً تُبيِّن هذا القرآن العظيم؟ أي: نستفيد من خلال تأملاتنا ما يجعلنا فعلاً نرى هذا القرآن عظيماً جداً، ونرى أن الحق هو من عند الله، وكل ما عند الناس هو خسارة، كل ما عند الناس ويُقدِّمونه ويتشبثون به من أشياء هي باطل وضلال، أنها خسارة وتنتهي إلى خسارة.

لاحِظ ما أجمل عندما نقرأ الآيات عن بني إسرائيل ونحن نرى في التلفزيون ماذا يعمل بنو إسرائيل، أليس هذا مِن ﴿فَسَوفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾(الأنعام:٥) ومِن مصاديق الآية الأخرى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(فصلت:٥٣)؟ فأصحاب نظرة المتكلمين لا يستفيدون من هذه، يتصورون أن الدنيا كلها، كلها، هذا الفضاء كله؛ لتعرف أن هناك الله! هذا الموضوع الذي يكفي فيه نعجة واحدة على طريقة الاستدلال: مُحدِث وحادث وحدث، نعجة واحدة تكفي في هذا الموضوع، طيِّب، وحركة هذا العالم، التغييرات الرهيبة، والتقلبات الرهيبة كلها لا يرونها.

عندما يقول: ﴿فَسَوفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أليس معنى هذا أن الإنسان يظل مستقرئاً لهذه الحياة وأحداثها والتغيرات فيها؟ يعرف كيف سيتجلى له الحق في كل موضوع عملياً، واقعاً، شواهد، شواهد يومية، هذه هي التي تعطي الإنسان معرفة، وتوسِّع معرفته، وميدان واسع جداً لتفكيره، ولتأملاته.

﴿أَلَمْ يَرَوا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِن قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾(الأنعام:٦) هذه واحدة من القضايا: أنه يُبيِّن لهم المتغيرات في الحياة ﴿أَلَمْ يَرَوا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِن قَرْنٍ﴾ أمم سابقة أهلكناها بسبب تكذيبهم، أمم سابقة كانت بالنسبة للحياة لديها مثلما ذكر هنا: ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيهِم مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾ هؤلاء أهلكناهم؛ ليأخذوا عبرة بأنه قد يحدث عليهم ما حدث على تلك الأمم السابقة، بل في آية أخرى يذكر فيها بأنه يبقي من آثار الأمم السابقة يحفظها الله أن تبقى آثار (أطلال) أو آثار من هذه التي يسمونها آثاراً أليست واضحة؟ اسمها آثار؛ لتأخذ عبرة من هذه، الله هو الذي يحافظ عليها، ليأخذ الناس عبرة وهم في حركتهم، ومروا من منطقة كان فيها ثمود، أو كان فيها قوم ممن لا يزال في التاريخ ومن خلال ما قدَّم القرآن معروف بأن هذه أمة كانت كذا، ثم أهلكها الله، فيأخذون عبرة من هذه؛ ليخافوا الله، فيؤمنوا، ويقبلوا هذا الحق الذي جاء به.

﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ هنا يذكر بأنه يأتي آيات كثيرة آيات للتذكر ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾(الأنعام:٤) وأنهم في واقعهم فئات مَن هم على هذا النحو، تلك الفئات من الناس لا تنفع معهم الآيات نهائياً ﴿وَلَو نَزَّلْنَا عَلَيكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾(الأنعام:٧) طيِّب، هذه مما لها أثر كبير وفائدة كبيرة بالنسبة للإنسان، تحول بينه وبين أن يُحبَط، عندما تكون تدعو آخرين وتوجِّه آخرين في أيِّ منطقة من المناطق، ويكون هناك أناس لا يرضى يسمع، ولا يبصر، إذا لم يكن الإنسان فاهماً من خلال هذا التشخيص الإلهي لفئات الناس فقد يرجع

على نفسه فيتصور بأنه (يبدو أن هذا العمل بكله ليس مقبولاً، أو ليس الآن وقته، أو ننتظر إلى أن يأتي وقت مناسب) أو بأيِّ عبارة فأحبِط هو! اعرف بأنه قد يكون فعلاً في الناس هكذا، أنت لا (تحنب) نفسك فيه[1] ولا تُحبَط في مواجهته، اشتغل مع آخرين، وأنهم على الرغم من أنهم هكذا: ﴿وَلَو نَزَّلْنَا عَلَيكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيدِيهِمْ﴾ لن يؤمنوا، ولن يقبلوا، وسيختلقون لهم دعاية أخرى: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ وعندهم مقترحات: ﴿وَقَالُوا لَولاَ أُنزِلَ عَلَيهِ مَلَكٌ﴾(الأنعام:٨) لماذا نبي هكذا؟! المفروض أن يكون معه مَلَك، لماذا لا يأتي معه مَلَك، أو ينزل الله مَلَكاً بدلاً عنه؟! ﴿وَلَو أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ﴾(الأنعام:٨) لا ننزل الملائكة إلاّ عندما تكون ضربة، وسينتهي الموضوع، لا يُقبَل فيها أن يؤمنوا، ولا يُقبَل منهم إيمان، يُضرَبون نهائياً كما جاء في الآية بعد: ﴿وَلَو أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ﴾(الأنعام:٨) ﴿وَلَو جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾(الأنعام:٩) وتحصل عندهم الإشكالية السابقة نفسها ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيهِم مَا يَلْبِسُونَ﴾(الأنعام:٩).

لكن ليس هناك حاجة إلى هذا، الآيات واضحة، وآيات بينات في كتابه، فيما يتركه من آثار الأمم الماضية، وفي مظاهر هذه الحياة، آيات كافية وفوق الكفاية؛ ليعرف الإنسان بأنه أحياناً عندما تُقدَّم لك قائمة من المقترحات، تعطي أولويات لعملك، معظم ما يأتي هو من جانب الذين لا يستجيبون، لا يستجيبون وليس مستعداً أن يستجيب، ثم يأتي ليقول لك: (لماذا لا تعملوا كذا؟! لماذا لم تعملوا كذا؟! لماذا لا تذهبون لتجاهدوا في فلسطين؟! لماذا لا تذهبون إلى العراق؟! لماذا لا تقولوا كذا؟!) هي هذه الفئة المبطلة هي فئة المقترحات، يُقدِّم لك قائمة أولويات وهو غير مؤمن بالموضوع بكله.

معنى هذا أنك لا ترجع على نفسك هنا تقول: (يمكن أن يكون هذا صِدقاً، يمكن أنه صِدْق أن نبدأ نعمل كذا) لا، نقول: يجب أن تلغي من ذهنيتك تماماً قبول أيِّ أولويات تُقدَّم من جهة هذه الفئة نهائياً، ليس إليهم موضوع أولويات في العمل: (ابدأ بهذه وإلاّ فلسنا معك). قل له: تعال ابدأ أنت، ابدأ قل هكذا، ارفع معنا شعاراً، على الأقل حتى نكون نسمع لك عندما تُقدِّم مقترحات، أمَّا أن تكون هناك معارضاً وتقول: ارفعوه بعد الصلاة، ارفعوه خارج في الشارع، أليست تأتي مقترحات من داخل هذه النوعية؟ لكن هو لن يرفعه، لا في المسجد، ولا يُحتمَل أن يرفعه بعد الصلاة، ولا في الشارع! معظمها مقترحات تأتي من فئة هم ليسوا متحركين ولا حتى في الشارع.

يُقدِّم فئات المؤمنين هنا، وباعتبار أن القضية فيها كفاية، تبيين وهدى بشكل لا يكون لديهم فكرة تقديم أولويات، إذا كان هناك مسيرة عملية ممكن مقترحات مُعيَّنة لكن ليس لديهم هذه الانطلاقة لدى هذه الفئة: (ابدأ بكذا وإلاّ فلن ندخل معك، اعمل كذا وإلاّ فلن نكون معك) هذه لا تحصل عند فئات المؤمنين؛ لأن فئات المؤمنين متبعون، وفي نفس الوقت يقيِّمون الأوضاع بشكل عام، فمتى ما حصل له رؤية مُعيَّنة قدَّمها، ليس هناك قائمة تقديم أولويات عندهم، لا يحصل من داخل المؤمنين أولويات، يحصل أحياناً هذه التساؤلات، ويقول لهم أحياناً: هذا التساؤل في غير موضعه ﴿لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾(المائدة:١٠١).

أمَّا الفئة الأخرى فهي فئة مقترحات، وهي غير مؤمنة بالموضوع، وليست متجهة فيه، تعطيك أولويات، فالإنسان إذا لم يكن فاهماً يتصور: (واللهِ يمكن أنه صِدْق ربما أننا لو عملنا كذا لساروا معنا) قد يسير معك مؤقتاً ولا تدري وقعد، ويكون تحولك إلى اعتبار أولويته له أثر سلبي في مجالات أخرى.

لاحِظ هنا كيف الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في مرحلة دعوته حتى نعرف أساليب الدعوة كيف هي، وفي الواقع معناها أساليب إقامة القسط - لأنه قد أصبح معنى الدعوة، أي: الوعظ هكذا لمجرد الوعظ - أساليب كيف يكون الناس أمة قائمة بالقسط، شهداء لله، هذا الشيء المهم، الإنسان بحاجة إلى أن يكون لديه رؤية متكاملة بالنسبة للإنسان أمامه، القرآن الكريم شخّص المجتمعات، وشخّص الإنسان أمامك بحيث تعرف أن هذه النوعية قد تكون كذا، من أجل لا تُحبَط أنت، تستمر في عملك، لا تكون أنت ترى هذا النوع وكأنه يمثل البشرية جميعاً، اتركْ هذا النوع وحده يمكن أن تتجاوزه ثم يهمَّش تماماً. وهذا الذي حصل في صدر الإسلام، ألم يتهمش كل أصحاب هذه المقترحات؟ ﴿لولاَ أُنزِلَ عَلَيهِ مَلَكٌ﴾(الأنعام:٨) لولا كذا... هؤلاء تهمشوا هناك، يوجَد بشر كثير سيستجيبون، وهؤلاء ينتهون في الأخير، الآخرون انتهوا على جنب.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ﴾(الأنعام:١٠) لا تتصور أنك أمام أول إشكالية تحصل أمام رسول، مِن قبلك حصل

---

(١) لا تُحنِبْ: من اللهجة العامية، وتعني هنا: لا تَشْغَلْ نفسَك به فقط.

لرسل استهزؤوا بهم، واستهزؤوا بآياتهم، وسخروا منهم، أي: فمعناه واصلْ لا تبالي، هذه قضية غير جديدة، فلا ترجع على نفسك وتقول: (أمَّا أنا فلماذا؟!) أو (ما هو السبب؟) لا، واصِل في عملك وأنت ستعرف من خلال عملك؛ لأنه يُقدِّم في نفس الوقت كيف تكون مسيرة الإنسان بشكل صحيح، كيف تكون أساليبه صحيحة، لكن هناك فئات لا ينفع معها أيُّ أسلوب تختاره مهما كان، لو اقترحت أن ينزل كتاباً من السماء في قرطاس ويلمسونه لن ينفع فيهم! الإنسان يجمع بين القضيتين، يعرف كيف هي الأساليب الصحيحة، وفي نفس الوقت يعرف الناس أن فيهم من لا ينفع معهم أيُّ أسلوب؛ لتستمرْ، لا يحدث لك إحباط ولا يأس.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾(الأنعام:١٠) وهنا يعطي الناس أملاً ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾(الأنعام:٥) وهنا أيضاً: ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ تكون عارفاً بأن مصير هؤلاء الساخرين في الأخير أن يحيق بهم أمر الله. خلاصتها ماذا؟ خلاصتها أن تبقى أنت مستقيماً، وواثقاً من نفسك، وواثقاً من طريقتك، ومواصلاً لعملك، لا إحباط، ولا يأس، ولا تراجُع، ولا ارتباك بين محاولة أقلمة وضعك وعملك استجابة لمقترحات من جانب الآخرين، مقترحات أولويات من جانب هؤلاء الرافضين والساخرين.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(الأنعام:١١) هذه واحدة من آيات النظر، أليست واحدة من آيات النظر؟ النظر في القرآن يجب أن تعرف متى يُقدَّم، وفي أيِّ موضوع يُقدَّم، وإلى أيِّ شيء يلفت نظرك، وليس أن نأخذ منها: (فدل على وجوب النظر) والنظر ماذا؟ في الأخير يشغِّلونه في غير موضعه، يجعلونك تنظر بالمقلوب، وتضيع وقتك في قضية لا حاجة إليها، قضية محسومة أساساً. ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ سترون آثارهم، آثار المكذبين.

﴿قُل لِمَن مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(الأنعام:١٢) عندما يقول لهم: ﴿قُلْ لِمَن مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ هم في نفس الوقت في آيات أخرى يقولون: هي لله، لكن هنا يقول: أنت قل لله، ولو قبْل أن يقولوا، ولو سيقولونها، قل أنت.

هذه قضية أساسية، أول شيء لا يُقدَّم الموضوع وكأنه بطريقة استدلالية: أن تنتظر من الآخر أن يكون هو الذي يقتنع بطريقة استدلالية مُعيَّنة، هذا شيء، الشيء الآخر بأنك لا تعوِّدْ نفسك بأنه لا يكون للشيء قابليته عندك، وثقتك الكبيرة به، وثقتك من نفسك إلاّ إذا اقتنع الآخر، بحيث لو افترضنا وقالوا شيئاً آخر تضعف ثقتك، هذه أحياناً تحصل عند الإنسان إذا عوَّد الإنسان نفسه ألاّ يكون ما لديه محط ثقة لديه، لأن هذه قضية مؤثرة جداً، إذا كنتَ واثقاً بما أنت عليه فستنطلق، وإذا كان يحصل لديك تردد، فسيحصل تراجع، ويحصل فتور في الموضوع، وهنا عندما تكون أنت مستبصراً لست بحاجة إلى أنه: لا بُد أن يقتنع الآخرون حتى أعرف بأنني على صواب.

هذه قضية قد يتعرض لها الإنسان، وفعلاً حصلت هذه، قد تكون أيضاً واحدة من المؤثرات داخل الزيدية أنفسهم في موضوع الاستدلال، الاستدلال، الاستدلال... حتى وصلْنا إلى درجة أنهم لم يعودوا يصدِّقون أيَّ شيء إلاّ بعد أن ينظروا هل الآخرون رووه وإلاّ فكأنه غير صحيح!

وهنا يأتي الحديث عن يوم القيامة وهو يخاطب مَن؟ أليس يخاطب مشركين ما زالوا منكرين ليوم القيامة؟ وهنا يذكر يوم القيامة، هل هذا أسلوب منطقي؟ هو فوق المنطق وأعلى من المنطق؛ لأنه نزّله الذي خلق الإنسان، وهو يعلم بالإنسان ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾(الملك:١٤) يهدده بأنه سيرجع إليه يوم القيامة وهو ما زال في نفس الوقت ينكر يوم القيامة، ليست القضية أن تُقدِّم استدلالاتك على ما يبرمجونه في كتب (المنطق) و(علم الكلام) لا، القضية هي أن تعرف الإنسان، وتعرف كيف تتعامل معه، ومن أيِّ جهة تأتي له، هذا الإنسان فيه أشياء في نفسه لا نعلمها، يؤثر فيه التخويف بالشيء الذي يبدو وهو منكر له، يؤثر فيه التخويف به، يوم القيامة يخوَّفون به، ويخوَّفُون بالنار وهم لا يزالون كافرين، في هذا القرآن.

والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بجهنم التي يخوَّفون بها أليست قضية قرآنية؟ ومع هذا يخوَّفون بها، ويقول لهم هكذا يذكّرهم بها، ويخوِّفهم بها، معنى هذا أنه سيترك أثراً في نفوسهم.

هذا من أهم أساليب القرآن الكريم في التعامل مع الإنسان وخطابه، يأتي له من كل جهة، ترغيب وترهيب، حتى ولو لم يكن قد آمن بموضوع جنة، ولا موضوع نار، ولا قيامة، ولا شيء من هذه، يذكِّره، ترهيب وترغيب،

وأشياء كثيرة جداً، لا يأتي على أساس منطق الفلاسفة التي يسمونها: مقارعة الحجة بالحجة، واستدلال عقلي منطقي هكذا، يكون من رأس إلى رأس، ليس من رأس إلى رأس، بل هذا من الله إلى وجدان الإنسان، إلى نفسيته الواسعة، هو لا يتعامل مع رأسه، الأشياء الأخرى تكون تعاملاً مع ماذا؟ جدل وحجاج من رأس إلى رأس.

﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(الأنعام:١٢) يُبيِّن بأنهم خاسرون الذين لا يؤمنون بهذا، هذا مما يَرُدُّ على المتكلمين في أسلوب التعامل مع الإنسان؛ لأن هذا الخطاب يوجَّه إلى المشركين وهم لا يزالون منكرين لموضوع القيامة، بل كان استبعاد القيامة من أوسع المواضيع داخل القرآن، ثم يأتي بالشواهد على أن هذا اليوم سيحصل، واسع في القرآن، ومع هذا يهددهم به. هذا يَرُدُّ على المتكلمين في أسلوبهم: (أنه لا يمكن أنك تستدل على فلان بقضية إلاّ وقد صار مؤمناً بها أولاً) هذا من أسس الاستدلال عندهم: (أن يكون أولاً مؤمنا بها)! قد يكون هذا في قضايا أخرى، أمَّا في هذه القضايا: قضايا الدِّين، دعوة الإنسان، التأثير على الإنسان، حَمْلُه على أن يؤمن بهذا الدِّين، فهذا الأسلوب الحكيم هنا، أسلوب يخاطب الإنسان بشكل عام، ويأتي له من كل جهة، ويخاطب مشاعره ووجدانه ويتعامل معها.

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(الأنعام:١٣) يُبيِّن هنا أنه الْمَلِك، أنه المدبِّر، أنه القدير على كل شيء، هنا يهددهم بشيء حتى ولو لم يكونوا مؤمنين به، هم مؤمنون بالله، أليسوا مؤمنين بالله؟ يأتي أشياء كثيرة جداً تصل بالإنسان إلى درجة أن يؤمن من داخل ولو ما زال ينكر، وهذا ما سيأتي بعد، وهذا مما يدل على أن هذا أرقى أسلوب، أسلوب أنبياء الله، وأسلوب كتب الله هو أرقى أسلوب في التخاطب مع الآخرين، أنه حتى وإن كان جاحداً بأنه حق ينفذ إلى أعماق نفسه رغماً عنه ﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾(الأنعام:٣٣).

﴿قُلْ أَغَيرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(الأنعام:١٤) وهذه القضية أساسية: أن يُبيِّن لهم بأنه هو الشخص الأول الذي يدعوهم إلى توحيد الله، وعبادته وحده، أنه هو في المقدمة، بمعنى أن الشيء الذي يتحرك فيه قضية ثابتة لديه لا يتزحزح عنها، ليست مجرد فكرة طرأت "تخزينة"[1] جاءت لرسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فجاء يعمل له "تطانين" أخرى، هنا يُبيِّن أن القضية ثابتة لديه لا يتراجع عنها، ويُبيِّن كيف أنه يسخر من الطريقة الأخرى: ﴿قُلْ أَغَيرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ﴾ هذا شيء، يُبيِّن لهم بأن القضية هو واثق من نفسه فيها وثابت عليها، هذا مؤثر في الطرف الآخر، ومؤثر في الأتباع أيضاً لا يكونون متشددين معه ثم يظهر لهم أنها كانت مجرد "تطنينة" فقط، بل هي طريقة ثابتة عنده.

الطرف الآخر كان يحاول أن يعمل عروضاً، ألم يحصل هذا؟ أشياء مُعيَّنة (قد ربما تكون هذه "تطنينة" أو فورة شباب، أو طموحاً لشيء) ألم يعرضوا عليه إذا كان يريد مالاً، أو يريد أن يتزوج بأجمل امرأة فيمكن أن يزوجوه، أو يريد ملكاً ملكوه عليهم؟ عرضوا عليه هذه الأشياء، ويسكت، ويترك ما يدعو إليه! هنا يُقدِّم بأنه مؤمن بهذه القضية التي يتحرك فيها، وأنه مأمور بها من جهة الله، وليست فكرة طرأت عنده هو، لا ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ ليست "تطنينة" ﴿وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيتُ رَبِّي عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ﴾(الأنعام:١٥) هذه قضية هامة جداً في موضوع الدعوة: أن يفهموا بأنه ليس هو الذي يملي أشياء من هذه عليهم، وأنها فكرة طرأت له، أبداً، بل هو مأمور من جهة الله، وأنه يخاف الله فيما لو فرط ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيتُ رَبِّي عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ﴾.

وهذه يكون لها أثرها؛ لأنه بالنسبة للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أنبياء الله هم لا يكونون أشخاصاً بالشكل الذي قد تراه مؤمناً بقضية، وتتصور أنه شخص غير متزن مثلاً، بل يكونون أشخاصاً متزنين، وأشخاصاً معروفين في المجتمع أنهم أشخاص فاهمون، وأشخاص أفكارهم متزنة، وأحلامهم كبيرة، وأشياء من هذه، فعندما يقرر هو قضية ويُقدِّمها لك فهي قضية ثابتة وقضية هامة، هذه تترك أثراً في النفوس، لأن منطلق الكلام يكون أثره على حسب الجهة التي صدر منها.

وعندما يقول: ﴿إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ وفي نفس الوقت يقول: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيتُ رَبِّي عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ﴾ هذا الإنسان وإن كان آخرون يقولون: مجنون، أو يقولون: ساحر، هو شخصية مختلفة،

---

(١) تخزينة: من اللهجة العامية، وتعني هنا: الفكرة التي تأتي نتيجة تناول القات.

أمامك مجتمع، أليس هذا الذي حصل بعد؟ ألم يُسلِموا في الأخير؟ تلك النوعية لا يعني أنها تمثل الكل، وتمثل كل أفراد المجتمع، الذين حكى عنهم في البداية أنهم قالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾(الأنعام:٧) أو أناس يقولون: مجنون، وأناس يقولون: شاعر، هناك أناس يعرفون محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إنساناً على مستوى عالٍ جداً من الفهم والذكاء والاتزان، وأنه ليس إنساناً ممكن أن يلصق به دعاية من دعاياتهم، عندما يبدو بأنه مهتم بقضية إذاً هي قضية هامة، أنه يخاف من كذا إذاً هي قضية لا بُد أن تكون واقعية؛ فيكونون قريبين لأن يستجيبوا.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيتُ رَبِّي عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ * مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَومَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوزُ الْمُبِينُ﴾(الأنعام:١٥،١٦) هنا يُدخِل في أذهانهم موضوع القيامة، موضوع العقوبة الشديدة من أول ما يلفت أنظارهم إلى تاريخ الأمم الماضية وآثارها، بالنسبة للعقوبات هنا في الحياة، وبالنسبة لليوم الآخر، ألست تجد هذا الأسلوب من أول حركة الرسالة؟ أن يذكِّر الناس بخطورة العواقب السيئة عليهم في هذه الحياة وفي الآخرة.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾(الأنعام:١٧، ١٨) هنا عندما تتأمل موضوع القرآن كله، أليس موضوع حركة، موضوع دعوة؟ موضوع... أي: من يتحرك في هذا المجال قد يحصل لديهم أشياء كثيرة تطلَع في الذهنية؟ خائف ضر مثلاً؟ الضر الذي يجب أن تخافه هو ما يمكن أن يأتي من جهة الله، أمَّا شيء قد يأتي من جهة الآخرين فالله قد يكشفه، الشيء الذي قد يأتي من جهته هو، هو الذي لا يستطيع أحد أن يكشفه عنك، إذاً فأين أولى أن أحسب حساب ضر مِن عند الناس قد يمنعه الباري من البداية، أو قد يكشفه عند وقوعه، أو الضر الذي لا يكشفه إلاّ هو؟ الضر الذي من عنده الذي لا يكشفه أحد من البشر على الإطلاق ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ ولا راد لفضله كما قال في آية أخرى، هو قادر على أن يعطيك خيراً وفي نفس الوقت لا أحد يستطيع أن يرد ذلك الخير عنك. الإنسان هو يخاف في موضوع الحركة موضوع ماذا؟ الشر والخير، الضر والنفع، أليس هذا حاصلاً؟ لاحِظ هنا كيف يتحرك في كل جوانب القضية، كل ما قد يمكن أن يتبادر إلى ذهنك هو يعلم، يعطيك رؤية فيه.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوقَ عِبَادِهِ﴾ وهو الذي يأمرك أن تتحرك على هذا النحو وأنت تتحرك في سبيله، وهو يعدك بتأييده ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوقَ عِبَادِهِ﴾ إذاً بالتأكيد هو القاهر فوق الأعداء، أليست هذه واضحة؟ عندما تعتقد: الأعداء كباراً، وإمكانياتهم كبيرة، وهم كثير، وأشياء من هذه، افهم بأنك تتحرك في سبيل من هو قاهر فوقهم؛ لئلا يحصل عند الإنسان أنه في الأخير قد أصبح يرى وكأن أولئك كبار ليس فوقهم كبير، وقاهرون وليس فوقهم قاهر، هذه قد تكون حاصلة. لاحِظ إذا سألنا أحداً أليس الله أكبر منهم؟ سيقول: نعم، لكن في الواقع هو يعتبرهم كباراً وناسياً أن الله أكبر منهم! تكون القضية كمعلومة لديه فقط، أمَّا أن ينطلق على أساسها عملياً فلا يرضى، أليست هذه حاصلة عند الناس؟ أليس الله أكبر من أمريكا؟ سيقول: نعم، صحيح، أليس الله قاهر فوق أمريكا وإسرائيل، وفوق عباده جميعاً؟ سيقول: صحيح، لكن صحيح هنا فقط، أمَّا من داخِل فعمله وموقفه منهم وكأنهم قاهرون، ليس فوقهم قاهر، وكبار ليس فوقهم أكبر منهم.

إذاً القرآن الكريم عندما يتأمل الإنسان ماذا يبني؟ أليس هو يبني إنساناً عملياً، ويبني أمة قوامة بالقسط، أم أنه يبني مفتين ليس لهم دخل من شيء، أو قارئين هناك ليس لهم دخل من شيء؟! هو كله حركة، كله توجيهات عملية، بناء الإنسان كإنسان، وبناء الأمة كأمة.

﴿قُلْ أَيُّ شَيءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَينِي وَبَينَكُمْ﴾(الأنعام:١٩) شهادة على أن ما جاء به حق، شهادة على أن ما يدعو إليه هو حق، شهادة على أن مواقفه حق، فأن يكون الله هو شاهد لا يحتاج إلى شهادة أحد من الآخرين نهائياً.

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾(الأنعام:١٩) أنذركم أنتم وكل من بلغهم هذا القرآن وإنزاله، أي: رسول للعالمين، رسول للناس جميعاً، وعندما يقول: ﴿وَمَن بَلَغَ﴾ فهل القضية تعني فقط: من بلغه صدفة، أو بلغه هكذا؟ لا، إنها قضية تحتها أيضاً برنامج عملي في كيف أن يبلغ هذا القرآن الآخرين؛ لأنه عندما تقرأ في القرآن تجد أن الله يقول عنه: إنه للعالمين، وإن رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) رسول للعالمين، افهمْ بأن هناك خطة بأن يكون للعالمين، ليست متروكة للصدفة، أو لمجرد فكرة، أو إذا صادف وجاء إنسان نشيط، أو أحد لقي أحداً، لا، إنه قال: أن يكونوا قوامين بالقسط، يبني أمة هي بالشكل الذي يمكن أن تتحرك بالقرآن للعالمين جميعاً، أي:

لديه خطة عملية لأن يكون للعالمين، خطة عملية لأن يبلُغ آخرين، ليست فقط لمن سمعه، أو صادف.

ولاحِظ كيف تقوم المسألة كلها هناك، نحن الآن أمام الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) والآخرين، يشخّص لنا النبي مع آخرين، نجد الشيء الذي يظهر لنا في شخصية النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وهو يوجِّه، يُراعي كيف يكون منطقه مع الآخرين، دائماً يأتي بقضية ماذا؟ ربطه بالله، بالله هكذا، لا يظهر هو منفرداً ﴿قُلْ أَيُّ شَيءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَينِي وَبَينَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ أليس هو يربط القضية بالله؟ أنه إنما هو نذير، بشير، داعٍ إلى الله، رسول من الله، نزَل إليه القرآن من الله؛ ليبلغ عباد الله؟ وهكذا.

هذه المسألة لها أثرها الكبير جداً في موضوع الدعوة، في موضوع التأثير على الآخر، تجد أن هذه القضية فعلاً هي متفرعة على الإيمان بأن الناس بشكل عام عارفون لله؛ لأن حركة الرسالة تأتي تلحظ هذه النقطة: أن الله معروف عند الآخرين، أي: أن بإمكانك أن تتحرك باسم الله، وفي طريقه، ويكون الموضوع مقبولاً، أمَّا أن تتحرك أنت كإنسان أنت وصاحب فكرة فستصطدم بآخر لديه فكرة، تتحرك مثلاً أنت من طائفة، والآخر من طائفة، ويراك تبرز أمامه من الطائفة الفلانية التي لديه صورة سيئة عنها، هذا هو هناك يشتد، لا يرضى أبداً يقبل أن ينجذب لك؛ لأن معنى هذا بأنه سيتحول إلى شيعي مثلاً، وذلك من هناك لن يرضى (لأنه يريد أن يحوله إلى سُني، أو ذلك يريد أن يحوله إلى كذا، وذلك يريد أن يحوله إلى كذا) أن تبقى القضية في إطار البشر معناها يحصل فشل، أن يُقدَّم الموضوع عن الله وبطريقة مترسخة، وطريقة متكررة، هنا يبدو الموضوع بأن من يُقدِّمه إنما هو واحد من البشر ويريد أن نكون جميعاً في هذا الطريق إلى الله، والله هو معروف عند البشر، أليس الله معروفاً عند البشر، وفوق الكل؟ لا يمكننا بهذه الطريقة لولا أن الله قد غرز معرفته في نفوس البشر جميعاً، لأن حالة الفراغ هذه ستشكل عائقاً كبيراً جداً، لو كان هناك حالة فراغ فستشكّل عائقاً كبيراً جداً في موضوع دعوة الآخرين إلى الله.

هذه أيضاً تُعتبَر من المسائل التي لها أثرها الكبير في موضوع الدعوة، فعندما يأتي ويتحرك من يكون داعياً إلى الله باسمه هو في الموضوع وقدَّم نفسه، سيكون الآخر يَعتبِره واحداً أمام واحد، شخصاً أمام شخص، طائفة أمام طائفة، ويظلون يتواجهون. وهذا هو الذي حصل على مدى مئات السنين، هل المعتزلة حوَّلوا الأشاعرة إلى معتزلة، أو الأشاعرة حوَّلوا المعتزلة إلى أشاعرة؟ يظلون متواجهين باستمرار: شيعة وسُنة، معتزلة وأشاعرة، عدلية وجبرية، باستمرار؛ لأن المسألة فعلاً هبطت عن هذا الأسلوب (عن منهجية القرآن).

هذا يُقدِّم: المعتزلة هم كذا كذا، والآخر عنده: الأشاعرة هم كذا كذا...إلخ، ذلك أشعري يحاول ألاّ ينجذب له ولا (سنتيمتراً واحداً) هو عارف أنه مشوَّه عنده هو وطريقته، والآخر مثله، ومتعصبون ويظلون متجادلين باستمرار، وكل واحد منتظر الآخر حتى يكمل كلامه ليرد عليه، وهكذا، تمر مئات السنين وكل واحد وحده، وكل طائفة وحدها! أليس هذا الذي حصل؟

تجد أسلوب القرآن كيف أنه جمع العرب تحت راية واحدة، وتركوا آلهة، وتركوا تقاليد كثيرة، وتركوا الأصنام التي كانوا يعتبرونها آلهة، تركوها واتجهوا تحت هذه الطريقة. وهذه القضية نحن نراها من القضايا الواسعة في القرآن متكررة: ألاّ تبرز أنت باسمك، لا يبرز أحد باسمه، بل يكون داعياً إلى الله، يعرف كيف هي الدعوة إلى الله، وإلاّ سيحول بين الآخرين وبين أن يتقبلوا.

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لاَ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾(الأنعام:١٩) لاحِظ أليس الله سبحانه وتعالى هنا يُعلِّم نبيه كيف يقول؟ يُعلِّمه كيف يكون أسلوبه؟ بل يُقدِّم له العبارة كيف يقول، وهو يعلِّم بالآخرين، ويعلِّم بالناس. لاحِظ أليس هذا يبدو وكأنه أسلوب طبيعي، أو أسلوب غير منطقي يبدو؟ على حسب رؤية المتكلمين هذا أسلوب غير منطقي ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ سيقولون هذا ليس استدلالاً يُقنِع ويُلزِم! قل هكذا.

وما زلنا نلحظ في هذا أيضاً أنها قضية هامة في من يقول، مثلما قلنا سابقاً، وألاّ تلحظ الطرف الآخر؛ لأنه أحياناً "يُحنِبوا الإسلام"[1] في شخص هناك لم يرضَ أن يقتنع الذين يقولون: ساحر، أو يقولون: كذاب، أو يقولون: شاعر، أو يسمونه زنديقاً، أو ملحداً، أو من هذه النوعية، هؤلاء يكونون قليلين في البشر، هؤلاء يتلاشون، بإمكانك أن تأتي لهم بطريقة أخرى تَبهَتهم، أو تجعلهم لا شيء، وتسد الطريق أمامهم؛ لأن الأغلبية من البشر يفهمون ويتأثرون.

(١) يحنبوا الإسلام: من اللهجة العامية، وتعني هنا: يجعلوا من ذلك الشخص عائقاً أمام الإسلام.

﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ قل أنت، وأنت مَن أنت، أليس معروفاً بأنه إنسان له ثقله عندهم؟ شخصية لا يمكن عند الناس الطبيعيين والعاديين أن يروا بأنه إنسان أحمق، أو إنسان مليئ بـ"التطانين" والأفكار، وكل مرة ومعه "طنجعة"[1] بل هو إنسان عندما يُقدِّم قضية هامة فهي هامة فعلًا.

هم يلاحظون في الدعاة، هذه قضية معروفة لكن بمستوى متدنٍ جداً، أليسوا يلاحظون في الدعاة أن يكون بشكل شخصية كبيرة؟ يحاولون أن يُسمِّنوهم أحياناً، يحاولون أن يعملوا لهم أشياء حتى يسمن ولحيته تسمن، "ويعفشوه"[2] حتى يملأ المحراب، حتى يقولوا عندما يتحدث: (هذا الشخص لن يتحدث هكذا إلّا وهو مليئ بالعلم وقضايا صدق) يحاولون أن يعملوا هذه.

وتُقدَّم الأشياء مبتوتة عنده، هذه قضية هامة، وفعلاً الأثر السيئ لها أو الإيجابي ملموس إذا ابتعد الإنسان عنها، عن حالة تُمْرِض ما أنت عليه تُمْرِضه، ومتى ما حصل هناك قليل من الضجة تكون قد أصبحتَ مريضاً أنت، قد صارت القضية عندك: (كأنها ليست محكمة، كأنها لن تنجح، كأنها ليست جذابة بالشكل المطلوب) لا، هنا يُقدِّم القضية وهو واثق، قضية مبتوتة، قضية عنده هو واثق فيها ١٠٠٪ ﴿قُل لاَّ أَشْهَدُ﴾، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، ﴿وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ليس الموضوع موضوع استدلالات على ما يُقدِّمه الآخرون مع الآخرين، بل قضية تعامل مع الإنسان كيف يتعامل معهم، كيف يجعلهم قريبين من أن يتأثروا، كيف يؤثر في أعماق نفوسهم، الإنسان الذي يُقدِّم قضية بطريقة هو فيها متردد، ومريضة، فإنك تجعلها هزيلة غير مقبولة، قدِّمْها بجدية، بثقة، ويَظهَر للآخرين مهما كانوا ليعرفوا بأنها قضية ثابتة عندك، لا تتزحزح عنها، ولا تُقدِّمها باسمك شخصياً، قل: هكذا أمرنا الله، هكذا يريد الله منا، هكذا دعانا الله في قوله كذا كذا.

لا يُلحَظ هذا الأسلوب في كتب (علم الكلام) نهائياً، هنا لو يقول له: إذا قال أحد: إنهم آلهة، فقل له: إنما هو إله واحد، سيقول: كيف هذا؟! لا ينفع هذا الأسلوب، حاول أن تبرهن بطريقة منطقية واستدلالية على أن كذا كذا... كلام كثير؛ لهذا وجدنا كيف كانت هذه الطريقة ناجحة، ألم تكن ناجحة؟ خلال فترة قصيرة تحولت هذه الجزيرة إلى بلد مسلم، والآخرون عشرات المتكلمين مَن هم الذين قد أدخلوهم في الإسلام؟! مَن؟! لم تمر فترة إلاّ وقد أخرجهم الآخرون من الإسلام، مِن داخِل المسلمين، من كفّرهم من عندنا، ومن كفّرهم من عند آخرين، وكفّر بعضهم بعضاً.

الإنسان إذا قدَّم قضية - هو فيها - بطريقة تمريضية فإنه يُعطي الآخر طمعاً، أنت ترفع معنوياته في صراعه معك، تعطيه طمعاً أن يحاول كيف يؤثر فيك، ينهيك تماماً، يبعدك عن الموضوع، لكن عندما يلمس أنك واثق من نفسك ومن القضية التي أنت فيها، وأنك مُصرّ عليها، وقضية هامة عندك، فإن معنوياته تنهار، يُهزَم نفسياً.

إذاً من خلال آيات كهذه نعرف الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أنه بالتأكيد سار على هذا التوجيه؛ ولهذا نجح بشكل كبير، ألم ينجح نجاحاً مطلقاً؟ سار على هذه التوجيهات في منطلقاته العملية، وفي تقديم الأشياء، وفي خطاب الآخرين.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(الأنعام:٢٠) ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ﴾(الأنعام:١٩) ذكر أنهم يعرفون الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كما يعرفون أبناءهم، ويعرفون القرآن أيضاً أنه منزل من ربك بالحق. ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ نحن نقول: إن كلمة ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أوتوا الكتاب، أهل الكتاب، لا تحملها على أنها تُعبِّر عن فئة واحدة، على كيفية واحدة، وحالة واحدة، ونفسية واحدة، بل هم فئات، أهل الكتاب فئات: نفسياتهم، وواقعهم، كذلك المؤمنون، كذلك المنافقون، المشركون، النصارى، فئات في واقعهم.

الذين لديهم معرفة بالكتاب: فئة منهم، قد ترى الكثير من عوامِّهم الذين قال عنهم في آية أخرى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ﴾(البقرة:٧٨) هؤلاء الذين لديهم معرفة بالكتاب يعرفون رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أنه رسول من الله كما يعرفون أبناءهم.

يأتي بهذا الأسلوب في أكثر من مقام للتعريض بالطرف الآخر تجعله يشك في نفسه، أن سبب أنه لم يؤمن، أنه معارض، هو لأنه جاهل، لا، إن من لديهم معرفة بالكتاب هم يعرفون هذا كما يعرفون أبناءهم؛ لأن الطرف

(١) طِنْجَعَة: من اللهجة العامية، وتعني: شيء جديد غير مألوف.

(٢) يُعَفِّشُوه: من اللهجة العامية، وتعني: يهتمون بمظهرة الخارجي؛ ليكون أمام الناس شخصية جذابة.

الذي يعارضك قد ينطلق أحياناً ويعتقد أنه هو الذي لديه رؤية علمية، ولديه حكمة، ولديه فكرة صحيحة، عندما يقول: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ لكن أنتم جهلة، هذا يُعتبَر ماذا؟ هجوماً نفسياً، حرباً نفسية بالنسبة لهم أن يعرفوا لأنهم على هذا النحو: أنهم جهلة، أصلهم جاهلون، فعليهم أن يعترفوا بأنهم جاهلون؛ ليرفعهم إلى المعرفة، والعلم، والنور، والهدى.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَو كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(الأنعام:٢١) لأنه يأتي بمقابل الهدى والإنسان معارض سواءً من جهة الأميين، أو من جهة أهل الكتاب، هنا يعارض بأشياء قد تكون افتراء على الله، أو أحدٌ من أهل الكتاب يكون هناك عندهم دلائل واضحة جداً على رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) تُبيِّن لهم بأنه رسول فعلاً، لكن يفترون أشياء أخرى.

يكون في هذا تهديد لأهل الكتاب أنفسهم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَو كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ وسيكون لها وقْع في النفس: يخاف، هنا تجد كيف يُخوِّف أهل الكتاب وهم يكفرون بهذا، ألم يحصل هذا في كثير من الآيات؟ ويُخوِّف المشركين بما حصل للأمم الماضية، وبجهنم، وباليوم الآخر، وبسوء الحساب، وأشياء من هذه، وهم ما زالوا مشركين، أي: بالتأكيد أنه يعلم بالإنسان، فهذا هو الأسلوب الذي يجب أن يسلكه الناس، هذه الطريقة التي هي طريقة ناجحة: أن تتعامل مع الإنسان وتُخاطب الإنسان بالأسلوب الذي قدَّمه مَن خلَق الإنسان، ووجَّه إليه الشخص الذي نجح وهو يسلك هذه الطريقة، رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

﴿وَيَومَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَينَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾(الأنعام:٢٢) هذا تهديد، يُقدِّم القضية محسومة وواقعة لا شك فيها، يذكر هناك القصة كيف ستحصل ﴿وَيَومَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَينَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾(الأنعام:٢٢، ٢٣) يقول لهم بأنهم في القيامة سيكفرون بما كانوا عليه في الدنيا، ويحاولون أن ينزهوا أنفسهم مهما أمكن إذا كان سيُقبَل يمين أو أيُّ شيء ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ هذا يهز في نفسيتهم ماذا؟ تمسكهم بالحالة التي هم عليها، أن هذه حالة سيأتي يوم من الأيام تتنكر لها، وتتبرأ منها. ﴿انظُرْ كَيفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(الأنعام:٢٤).

﴿وَمِنْهُم مَن يَسْتَمِعُ إِلَيكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾(الأنعام:٢٥) أليس هنا تشخيص في السورة، من عند الآية التي قال عنهم: ﴿وَلَو نَزَّلْنَا عَلَيكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾(الأنعام:٧)؟

﴿وَمِنْهُم مَن يَسْتَمِعُ إِلَيكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * وَهُمْ يَنْهَونَ عَنْهُ وَيَنْأَونَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * وَلَو تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(الأنعام:٢٥-٢٧) أليس يذكر فئة واحدة؟ فئة واحدة كيف هي في واقعها؛ لأن هناك من قد طبع الله على قلوبهم، قد صاروا فئة مطبوعاً على قلوبهم تماماً، هم هذه الفئة التي تراها عندما تأتي إليك إنما تجادلك، كأنها لم تعرف شيئاً نهائياً، ولم تسمع شيئاً، ولم تفقه شيئاً، يقولون: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾.

وهذا في نفس السياق الأول، أي: ألاّ يحصل عند الإنسان أيُّ اهتزاز بما هو عليه عندما يرى أناساً بعدما كلمهم، بعدما وضح، بعد أشياء هو يراها أشياء عظيمة، وهامة، وآيات واضحة، ثم يقولون: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ إمَّا جدال أنه ﴿لَولاَ أُنزِلَ إِلَيهِ مَلَكٌ﴾(الفرقان:٧) ﴿أَو تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾(الفرقان:٨) أو أشياء من هذه، يجادلونه حتى يتصور: (ربما هذا ليس فيه كفاية، يمكن هذه البينات ليست واضحة) لا، هناك نوعية هم هكذا: طبع الله على قلوبهم.

هنا تلاحِظ في هذا إجابة على من يقولون في موضوع: الختم والطبع، وهذه الأشياء، أننا نجد هذه الفئات ليس معناه بأنها أصبحت في مكان لم يعد يمكنها أن تسمع هذه البينات وهذا الهدى، عندما يقولون: (لا يجوز على الله أن يصرفهم عن هداه) لم يصرفهم، هم هؤلاء يسمعونه، أليسوا يسمعونه؟ لكن هم نوعية لم يصل بهم الحال إلى أن جعل ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ إلاّ بعد آيات كثيرة جداً واضحة وبيِّنة وفوق الكفاية، ودائماً يكونون مُحاولين كيف يتنكرون لها، ويحاولون كيف يتمحَّلون الأشياء: دعايات مضادة، يكذِّبون بها يقولون: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ وأشياء من هذه، هم في نفس الوقت موجودون، أليس أولئك

موجودين؟ ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيكَ﴾ هل معناه أنه لم يعد يستطيع أن يذهب إلى مكان يسمع فيه هدى؟ هو يسمعه ويفهمه كعربي يفهمه، لكن لم يعودوا بالشكل الذي يتفاعلون - فعلاً - مع الموضوع، ويهتدون به، هل كانوا من قبل على هذا النحو: يتفاعلون معه بإيجابية، ويهتدون، ثم الباري سد الطريق أمامهم؟ لا، تركهم في طغيانهم يعمهون، فأصبحوا إلى هذه الدرجة: يسمع آيات الله، ويفهمها كخطاب عربي، ليس معناه أنه لم يعد يعرف ما معنى هذه، لكن قلبه لم يعد يتأثر، ولم يعد يهتدي.

لا نعلم، ولا أحد يعلم كيف تكون المسألة بالنسبة لقلب الإنسان حتى يكون - مثلاً - يستمع إليك وكأنه لم يسمع شيئاً، وهو يفهم الأشياء لكنها لا شيء بالنسبة له، لكنها قضية خطيرة بالنسبة للناس، قُدِّم الموضوع في القرآن أن يفهم الإنسان بأنه بحاجة إلى الله، وأن يعرف بأن الله هو غني عنه، وأنه لن يُعجِز الله، سيريه أمام نفسه أنه خاسر، لا نقول: (إن الباري عجز في أولئك) وهم ما زالوا طبيعيين، قدَّم لهم ما يفقهونه، ويفهمونه إلى درجة أنهم يعرفون أنه حق، لكن عندما يعاندون فسيجعلهم على هذا النحو: لا يتوفقون، ولا يهتدون نهائياً.

إن الإنسان بحاجة إلى أن يكون مرتبطاً بالله، وخائفاً من الله، يتوجه إلى الله لأن يهديه، يتفاعل مع ما قُدِّم إليه، ويستعين به مثلما جاء في أول (سورة الفاتحة): ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(الفاتحة:٥) ويخاف في نفس الوقت ألاّ يحصل من جانبه أدنى تقصير أو شيء ربما يُضرَب على سمعه، أو بصره، أو يختم على قلبه. لاحِظ كيف كان أسلوب الراسخين في العلم، ألم يقولوا هناك - بعدما رأوا أناساً ممن يتبعون المتشابه، وأشياء من هذه، عرفوا أن في قلوبهم زيغاً، رجعوا إلى الله -: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾؟ خائفين فعلاً ألاّ نقع في حالة كهذه، ليس معنا إلاّ أنت ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾(آل عمران:٨).

وأيضاً أن يفهم الإنسان نفسه هو (من يتحرك في مجال الدعوة للناس) أنك تُبيِّن، تُبيِّن، إذا كان لديك فكرة بأن هؤلاء الناس ربما بعد سنتين أو بعد ثلاث وأنت معهم معهم باستمرار عسى أن يهتدوا فيما بعد، قد تُضيع نفسك في قرية، وأنت تقول: عسى عسى عسى...إلخ، لا، هذه هي مسيرة، تعامَلْ مع الناس، وتوجَّهْ إلى الناس جميعاً؛ لأنك قد تكون في الواقع تحاول أن تتحرك مع قرية أو مع منطقة معيَّنة الكثير فيها قد صاروا من هذا النوع: لم يعد يستفيد نهائياً؛ فتضيع أنت، تضيع مسيرتك، وتضيع حركتك. فلْيضيعوا هم، اعملْ فالله وعَد بأن يستبدل بهم غيرهم، من طبع الله على قلبه أو ختم عليه أو كذا هذا يمكن أن يكون قد انتهى مفعوله، اعملْ مع غيره.

هذه رؤية هامة بالنسبة للإنسان الذي يعمل في سبيل الله، وأنك تُبيِّن تُبيِّن تُبيِّن، وفي نفس الوقت لا تضيع نفسك مع فئة مُعيَّنة، بعض الناس قد يضيع وقته مع عمه، أو خاله، أو أخيه، أو أيِّ أحد، أو مع أشخاص مُعيَّنين في قرية. اعملْ في هذه القرية، وفي القرية الثانية، والثالثة، ومع مَن لقيتَ؛ لأنك عندما لا تكون لديك هذه الرؤية: أنه فعلاً قد يكون هناك من الناس بعد التبيين، وبعد الإيضاح، وبعد كذا، من يمكن أن يكون قد طُبِع على قلبه، إذا لم يكن لديك هذه الرؤية فستضيِّع عمرك معه، ولن يتأثر بك نهائياً (منتهي) وتكون قد خسرتَ حركتك ونشاطك وعمرك مع أناس لن يعملوا شيئاً، ولن يستفيدوا شيئاً.

وفعلاً إن الحالة قد تصل إلى - وهذه قد تكون ملموسة عند كثير - أنه في الأخير يُحبَط هو، لم يرضَ - مثلاً - أخوه، أو عمه، أو خاله، أو واحد من القرية، أو مجموعة، لم يرضوا أن يسمعوا، في الأخير يقعد ويُحبَط ويقول: (يا أخي لم يرضوا) لأن أمامه دائرة واحدة محدودة.

هنا يُبيِّن أيضاً كيف هم ﴿وَهُمْ يَنْهَونَ عَنْهُ وَيَنْأَونَ عَنْهُ﴾(الأنعام:٢٦) ينهون عن هذا الهدى: يُبعِدون الناسَ عنه حتى لا يقرب منه أحد، ولا أحد يستمع له، ولا أحد يتأثر به، ويبتعدون عنه، ينهون عنه ويبتعدون في نفس الوقت ﴿يَنْأَونَ عَنْهُ﴾ أي: يبتعدون عنه.

﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾(الأنعام:٢٦) إن هذه مسيرة لا تتوقف، لاحِظ هذه من الأشياء المهمة: أن ترى بأن الطرف الآخر هو الذي سيخسر هو ﴿يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أما هذه القضية فلن يؤثروا عليها، وهذه الطريق لا تتأثر، ودائماً يكون عند الإنسان تلك الآية: ﴿عَلَيكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيتُمْ﴾(المائدة:١٠٥) سيكون الآخرون هم من يضيعون، وأنتم ستنجحون. يُهدد حتى هذه النوعية: ﴿وَلَو تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾(الأنعام:٢٧) يُبيِّن كيف أنهم يوم القيامة سيكونون نادمين، وفي النار يتمنون أن يعودوا إلى الدنيا من جديد.

هذه الآيات تجدها في سياق واحد، تُبيِّن لك فئة واحدة، ومع هذا يأتي رواة يروون عن أبي هريرة: أن هذه الآية نزلت في أبي طالب ﴿وَهُمْ يَنْهَونَ عَنْهُ وَيَنْأَونَ عَنْهُ﴾ أي: أنه ينهى عن محمد حتى لا يؤذيه أحد وفي نفس

الوقت هو يبتعد عنه! أبو طالب لم يكن من هذه الفئة، هذه فئة أخرى من عند قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيكَ...﴾ إلى آخر الآيات، لاحِظ كيف هي في سياق واحد، لكن هكذا في أسباب النزول، وهو من الفنون التي فيها تلاعُب كثير، يأتي البعض ويأخذ من داخل الآيات التي هي في سياق واحد: موضوع واحد، فئة واحدة، أو شخص واحد، وأخذها وقال: هذه نزلت في فلان، أو هذه نزلت بعدما نزل كذا، يأخذ آية واحدة.

الآيات سياقها ﴿وَمِنْهُم مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ هل كان أبو طالب يجادل محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟ هل كان يقول: إن ما يأتي به أساطير الأولين؟! لا. ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * وَهُمْ يَنْهَونَ عَنْهُ وَيَنْأَونَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * وَلَو تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام:٢٥-٢٧) أليست هذه فئة واحدة يتحدث عنها؟ كانوا حريصين جداً على تشويه الإمام علي، وجدوا في شخصه أنهم لم يستطيعوا على الإطلاق، فحاولوا إذا أمكن أن يجعلوا أباه كافراً، حاولوا أن يعملوا روايات، ويعمموا أنه كان كافراً، يحاولون في أم النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أو في أبيه، أو في أيِّ جهة! هذه فكرة من عند بني أمية، وبنو أمية كانوا أعداء لرسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وللإمام علي، ولأهل البيت، لبني هاشم، بشكل خاص، كانوا معادين لبني هاشم من الجاهلية قبل النبوة.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَو رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الأنعام:٢٨) بعد أن قال عنهم إنهم سيقولون: ﴿يَا لَيتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُم مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ الله أعلم هل معناها - لأنهم هنا قالوا: يودون أن يكونوا مؤمنين - وهم في الدنيا وهم يسمعونه؟ وهذا هو الشيء الطبيعي: أن الحق ينفذ إلى أعماق النفوس رغماً عنك، تؤمن به رغماً عنك، في داخل نفسك، ثم هناك صرَّحوا بما كانوا يخفونه هنا، هذه ممكن أن تأتي في قضية الإيمان، أو أن نقول: إنه بدا لهم الأشياء التي كانوا يُهدَّدون بها: بدا لهم هذا الوعيد الشديد، بدت لهم النار، لكن أن نقول ﴿مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ هل معناه: ما كانوا يخفون من أنهم مؤمنون بأنها قضية حقيقية، أو أنه شيء حسرة عظيمة عليهم؟ خلاصته أنهم وصلوا إلى حالة تُبيِّن أنهم في حالة رهيبة جداً من الحسرة والندم، يتمنون أنه يمكن أن يعودوا إلى الدنيا، فيؤمنون من جديد.

﴿وَلَو رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ وهذه من الأشياء العجيبة، ومن الخسارة الكبيرة: أن الإنسان يصل إلى هذه الحالة، أن الإنسان، أو فئات من الناس قد يصلون إلى حالة: أن تخبُث نفوسهم بشكل عجيب إلى درجة أن جهنم نفسها لن تنفع فيهم، فلو خرج من جهنم بعد ألف سنة لعاد لِمَا نُهِي عنه! أليس هذا يُبيِّن عندما يقول الله بأنه سيركم الخبيث فيجعله جميعاً في جهنم، وخالدين فيها، نوعية لا يصلح إلاّ أن يكون هناك ﴿وَلَو رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾؟

إذاً فيفهم رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) معنى الآية: لتفهم أن هناك فئات أو أشخاصاً لا ينفع فيه حتى لو دخل جهنم وخرج فإنه سيكون على تلك الطبيعة. هناك من يسيرون في الطريق نفسها لدعوة الناس، وإرشاد الناس، وفي حركة عملية، وأكثر ما تواجه فئات من هذه في المجال العملي، لا تدري في أيِّ منطقة، سواءً شخص، أو قرية، أو كيفما كانوا، نوعية فيهم مؤشرات بأنهم من النوع الذي ماذا؟ لم يعد يَقبَل، لكن لا تتصور أن هذه قد تأتي من أول يوم، بل عندما تُبيِّن (مرحلة) وتوضِّح وتُفهِّم وتعمل بكل الأساليب الجيدة، ثم ترى أنه لم يعد يفيدهم شيء نهائياً، قد تكون هذه النفوس قد وصلت إلى هذه الحالة الرهيبة التي لو دخلت جهنم وخرجت لعادت لِمَا كانت عليه سابقاً؛ لتعرف بأنه: إذاً اذهبْ مِن عند هؤلاء، اعملْ مع غيرهم، ولا يكون لديك مانع أن يسمعوا ما يأتي من عندك، أو تُوصل إليهم أشياء من عندك، لكن لا تشغل نفسك بهم فقط.

﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (الأنعام:٢٩) هي حياة وبعدها يموت الإنسان ولن يكون هناك بعث! هذا قولهم هم. ﴿وَلَو تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام:٣٠) أنتم بُعثتم إذاً وأنتم في مقام حساب، وتلك هي جهنم، ويقال لكم أنتم: ادخلوا جهنم ﴿أَلَيسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾ (الأنعام:٣٠) هنا يذكر الإنسان بأن يقول: ﴿بَلَى وَرَبِّنَا﴾ هنا في الدنيا قبل أن يقول في وقت لم يعد ينفع، عندما يُقدَّم لك الحق تؤمن بالحق، وتتبع الحق، وتسير عليه، لا ينفع في القيامة أن تقول: ﴿بَلَى وَرَبِّنَا﴾.

﴿وَلَو تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ (الأنعام:٣٠، ٣١) لاحِظ كيف يُقدِّم: أن هذه الحالة هي من حالات الخسارة عند الإنسان أمام هذه القضية، مجملها أنه هنا في

الحياة الدنيا يرفض، ثم يوم القيامة سيقول: ﴿يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ حينما وجد حقاً، هناك جهنم، والوعيد، والأشياء كلها واضحة أمامه، إن هذه حالة خسارة، أي: أنك عندما تكون على هذا النحو: لا تؤمن بالحق حتى تصبح معايشاً للعقوبة، عقوبة تفريطك، عقوبة ابتعادك وتقصيرك، فإن هذه الحالة تُعتبَر خسارة عليك، في حياة الناس هنا، في حركتهم هنا في هذه الحياة، وفعلاً هذه القضية عمل القرآن بشكل كبير على أن يبتعد بالناس عنها، ويرتقوا عنها، لا يكونوا فقط من النوعية التي لا تعرف أن الشيء حقيقي إلاّ عندما يأتي مصداقه الذي قد صار ماذا؟ عقوبة مثلاً، لم يعد ينفع أن يعرفوا أنه صحيح، يقول لك: (لا يوجد هنا أمريكا إنما فقط تكبِّرون المسألة)! إلى أن تكون أمريكا موجودة، بعد ذلك يقول: (واللهِ صحيح)! ماذا يمكن أن يعمل؟ لا شيء، رأينا أناساً كانوا يقولون من عام ١٩٨٠م: (ليس هناك وهابيون، إنما أنتم فقط تكبِّرون القضية، ولا، ولا... إلخ) رأوا الوهابيين من بعد، قالوا: (صحيح) ولم يعملوا شيئاً!

لكن عندما تكون مؤمناً بالقضية من قبل، وتعرف من قبل، وتتحرك على هدي الله من قبل، فلن تصل أشياء سيئة، لن تصل العقوبات السيئة، لن تصل إلى حالة حسرة وندامة وخسارة، تقول: (واللهِ صحيح، وأننا كنا فعلاً مقصرين، ولم نكن نصدِّق، وكنا نقول: إنما كذا، وإذا بالمسألة صِدْق) ماذا سينفع هذا؟ هل سينفع عندما يقول هكذا؟ لن ينفع. ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ لم نعمل الأعمال التي كانت ستجعلنا ناجين: أن يؤمنوا بالله وبرسوله وباليوم الآخر، ويهتدوا بهدي الله. ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾(الأنعام:٣١) نعوذ بالله.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(الأنعام:٣٢) يُذكِّر الإنسان أن يكون اهتمامه كبيراً بالدار الآخرة، وقد يكون في هذا السياق، أن يقول لك: هذه الحياة التي أمامك ما هي في الأخير هذه الحياة؟ ليس المعنى أن الحياة في أصلها وفطرتها وطبيعتها هي هكذا. ألم يقل في آية أخرى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَينَهُمَا لاَعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾(الدخان:٣٨، ٣٩)؟ والحق بعيد عن اللهو واللعب، لكن يقول: افترِضْ هذه الحياة التي أنت فيها وتتشبث بها وتؤثرها على مقامات هامة جداً أليست لعباً ولهواً؟ ما الذي فيها، وهي الحياة التي أمام الإنسان؟ أليست التي أمامه؟ من الذي أعطاها هذه الصورة؟ الإنسان نفسه أعطاها هذه الصورة التي أصبحت وكأنها لهو ولعب، وليست شيئاً، جعلها فساداً، وجعلها لا شيء.

إذاً يُستفاد منها مثلما نقول الآن، نقول: لماذا نخاف ونحن في حالة لا نمتلك من الدنيا إلاّ لا شيء؟! أي: واقعنا الآن قد نقول فعلاً مثل واقع العراقيين بعد الحرب، يصيحون ليس لديهم كهرباء، ولا لديهم ماء، ولا لديهم أدوية، نحن هكذا منذ سنين لا كهرباء، ولا ماء، ولا خدمات، وهي لديهم طامة: أن ليس لديهم كهرباء وماء، إذاً ألسنا في حالة هي حالة سيئة؟ واجهة هذه الحياة هي على هذا النحو، نقول لأنفسنا: هذه الحياة التي نحن عليها ليست بالشكل الذي ننشدّ إليها، فلماذا نخاف عليها؟! ولماذا نبتعد عن الآخرة؟! نحن أحوج فئة للآخرة؛ لأن حياتنا هذه: خسارة، ولهو، ولعب، وضياع، وكذب، وانعدام مشاريع، أليست هذه حاصلة؟

هذا أسلوب من الأساليب، ليس المعنى: أن الله جعل هذه الحياة الدنيا لهواً ولعباً، ليست لهواً ولعباً، يقول: الإنسان لم يُخلَق سدى، لم يُخلَق عبثاً، هذه الأرض والسموات خُلِقت كلها بالحق، وعلى أساس الحق، تكون المسيرة مسيرة حق، وهل يُقدَّم الحق بأنه لهو ولعب؟! مسيرته في الحياة ليست لهواً ولا لعباً، لكن حياتكم هذه – حياتكم أنتم – التي جعلتموها على هذا النحو لهو ولعب ليست ذات قيمة، حاولوا أن تنشدُّوا إلى الآخرة.

﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(الأنعام:٣٢) نُلاحِظ أليس هذا الأسلوب ينفع فينا نحن؟ من الذي أوصل الناس إلى حالة من هذه الله أم الآخرون؟ الذين لا يُقدِّمون خدمات فعلاً أوصلوا الناس إلى حالة من الفقر، والغلاء، لا خدمات، ولا مشاريع مياه، ولا كهرباء، ولا صحة، ولا شيء، أليست هذه حياتنا الدنيا هكذا؟ هل هي من صنع الله أو من صنع الآخرين؟ أوصلوها إلى هذه الحالة، نحن وإياهم حقيقة، نحن وإياهم عملنا بهذا الشكل.

إذاً حياتكم هذه هل هي بالشكل الذي يجعلك تخاف أن تواجه أعداء الله، أن تجاهد في سبيله، فيكون لك فضل عظيم عند الله، وتحظى بالجنة التي هي ﴿خَيرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾؟ عند المقارنة، أليست هذه قضية تؤثر لدينا؟ أمَّا لو أن الحياة مستقيمة ليست حياة لهو ولعب فهي متجهة إلى الجنة بأهلها، الحياة التي ليست حياة لهو ولعب حياة مَن؟ حياة يسود فيها هدي الله، حياة يكون الذي يحكم فيها دين الله، والنفوس وتعامل الناس وكل حركتهم على أساسه تعني ماذا؟ حياة بعدها جنة. لكن حياة لهو ولعب، ما دامت لهواً ولعباً

فأفضل لك الجنة، أي: لا تؤْثِر حياة هي لهو ولعب، حياة فقر، بعض الناس يكون خائفاً وبيته وأمواله لا تساوي شيئاً، لو يضربها الأمريكيون لكنت الرابح أنت، هل تظن أنهم سيضربونها بصاروخ قيمته تساوي أضعاف قيمة بيتك؟ يعني ماذا؟ خسروا الزائد على قيمة بيتك.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ﴾(الأنعام:٣٣) لاحِظ كيف أن هناك رعاية لنفسيته دائماً، أليس هناك تركيز على هذه القضية بشكل كبير؟ نفهم فعلاً بأن الناس بحاجة إلى هدى الله، وفي المقدمة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فالإنسان يعطي كلَّ ما وُجِّه إليه أهمية، ويتحرك على أساسه. ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ﴾ هو يحزنه فعلاً أن يرى الناس ينصرفون عن هدى الله، وهو حريص على الناس، ومحب لأن يهتدي الناس، ويعرف أنها خسارة عظيمة عليهم أن يبتعدوا عن هذا، يحزنه، لكن لا ترجع على نفسك، الذي يحصل فيها أن الكثير من الناس الذين يسمونهم دعاة وعاملين يرجع على نفسه ويقول: "أمانة ما هو صاحّ شيء"[1] لا، افهمْ بأنه على هذا النحو: الذي - فعلاً - أنت يحزنك أن يكونوا عليه، لكن ما قد قلته، وما عملته قد وصل إلى أعماق نفوسهم.

﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ﴾ في واقعهم هم لا يعتبرونك كذاباً، ولا يعتبرون أن ما قدمته كذباً ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾(الأنعام:٣٣) جحود هكذا، وهم في الواقع مؤمنون، أي: في الواقع مِن داخِل نفوسهم قد عرفوا أن هذا صحيح، وأن هذا صدق، وأنك إنسان لستَ ممن يمكن أن يكذب. وهذا مما يُبيِّن لنا بأنه فعلاً حركة الناس بهذه الأساليب أنها أساليب تجعل الآخرين يؤمنون في أعماق أنفسهم رغماً عنهم؛ لأنه أسلوب دقيق، وأسلوب راقٍ، وأسلوب على درجة عالية من التأثير إلى درجة أن الذي قد صار مؤمناً هو مؤمن، وحتى الآخرون هم قد وصل كلامك وتأثيره إلى داخل نفوسهم؛ فأصبحوا يؤمنون بأنه صِدْق، لكن جحود لاعتبارات أخرى (خذيلة).

أيضاً أن تعرف أن هذه قد تحصل عند نوعية من الناس، وإذا كنتَ تعمل على أساس هذا الأسلوب فأنت فعلاً ترى بأن الناس كلهم في الواقع كل نفوسهم مُصدِّقة، من قد صار مؤمناً فهو مؤمن، والآخر قد دخل إلى داخل نفسه، ثم تعرف بأن هؤلاء عندما تراهم ماذا؟ يكذِّبون ويجحدون، لا تتصور ربما أنهم لم يكونوا قد فهموا، ربما لم يكونوا قد دَرَوا، ربما، ربما، لا، فقط هو جحود منهم.

إذاً هذه القضية نفسها تُعتبَر بالنسبة لنا قاعدة هامة نقيِّم بها الناس الذين اختلفوا بعد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) الذين اختلفوا بعده وخالفوه، في الأخير يقولون: يمكن أنهم ما دَرَوا، يمكن ما علموا، يمكن ما فهموا، أشياء من هذه! كيف تقول: يمكن، يمكن، وهم يقولون: إن فلان مُلهَم؟! أليسوا يقولون: (إن عُمر مُلهَم)؟! وهنا يقول لك: إن الآخرين المشركين أنفسهم يوصلهم محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إلى درجة أنهم يُصدِّقون في أعماق نفوسهم وهم مشركون فما بالك وأنت تتأول هذه التأويلات لشخص وهم يقولون عنه بأنه مُلهَم وهو كان المحرك في القضية هو؟! أليسوا يقولون عن عُمر بأنه مُلهَم؟ ثم يأتي أناس يقولون: نتأول، يمكن أنهم لم يفهموا، يمكن أنهم لم يعرفوا، ربما كذا، ولا يجوز نعتقد أنهم يمكن خالفوا هكذا صراحة، وأشياء من هذه، لا، لا يمكن أن تتصور بأنهم أشخاص لم يعلموا، ورسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بمنطقه الذي يقوم على هذا الأسلوب كان يجعل المشركين يعلمون وهم مشركون كافرون.

هذا يشهد بأن آيات الله سبحانه وتعالى تكون على أعلى مستوى من الوضوح والتبيين، وأنه في نفس الوقت يكون هناك فئات من الناس على أخبث حالة، يؤمن مِن داخِل نفسِه ولا يرضى إلاّ أن يعاند ويجحد، وهذه القضية أساسية وهامة: أن يكون الإنسان فاهماً بأن دين الله، أن آيات الله تُقدَّم على هذه الدرجة العالية؛ ولهذا يسميها صراطاً مستقيماً، تأتي بينات واضحة إذا كان هناك من يشتغل عليها ويشغّلها، واضحة، ثم يتضح لك صراط مستقيم، إذا لم يكن هناك حركة عليها يتضح لك فيما بعد أن ليس هناك إلاّ (تخبُّط في الظلام) لأن هذه من الناحية العقائدية ضرورية بالنسبة للإنسان حتى يكون صادقاً في تنزيهه لله سبحانه وتعالى: بأنه حكيم ورحيم، وأنه على كل شيء قدير، وأنه يعلم السر في السموات والأرض، ويعلم الغيب والشهادة، أنه ليس هناك تقصير من عنده على الإطلاق، لا يأتي تقصير من عنده أبداً.

لاحِظ آياته كيف تعمل في النفوس، حتى الجاحد المكذب هو في واقعه مصدِّق بها، وكانت تأتي أمثلة تشهد بهذا، قالوا: إن واحداً من أولاد أبي لهب وهم مسافرون بعدما دعا عليه رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه، وعندما سمع الأسدَ وهم مسافرون ارتبك وقال: بالتأكيد أنه هو، عرف، هو يعرف أنه صدْق، وفعلاً أكله الأسد.

(١) أمانة ما هو صاحّ شي: من اللهجة العامية: (أمانة) تعني اليمين. (ما هو صاحّ شي): لن يصح شيء.

وهذه تُعتبَر أساسية في موضوع المعرفة، أي: أن يكون عندك ثقة بأن دين الله هو صراط مستقيم وواضح، طريق واضحة، هنا سينسف أمامك أن الإنسان موكول إلى ظنه، قُدِّمت القضية في الأخير هكذا: أن الإنسان موكول إلى ظنه، إذاً كل واحد يُدبِّر نفسه! ألم تُقدَّم هكذا؟! على أساس أن الله لم يُقدِّم شيئاً! وفعلاً هم يقدمونها بطريقة استدلالية، يقدمونه كدليل على وجوب اعتماد هذه الطريقة (لأنه لا يوجد معنا أدلة يقينية) أليسوا يقولون هكذا؟ فما بقي إلاّ أدلة ظنية، وأمارات، وظنون، وكل واحد على ظنه، لا أحد مُلزَم بأن يتبع ظن الآخر، ينطلق كل واحد على ما غلب في ظنه؛ ليعرف دين الله، يبحث عنه أين هو! قدَّموه ظناً! هل يمكن أن يكون بهذا الشكل وهو يوصل المشركين إلى أن يؤمنوا في أعماق نفوسهم، ويعرفون أنه حق؟!

وأيضاً يذكر أنه لا يزال هناك في الكون صفحات أخرى وآيات أخرى تتحرك، أي: وضوح، وضوح بشكل عجيب، لكن متى ما قدِّمت الأشياء بشكل يُعمِّي عليك فلا تعود ترى شيئاً[1] لا من داخل آيات الله هنا في القرآن، ولا آياته في ماذا؟ في واقع هذه الحياة. أليس هذا واحداً من الأدلة في كتب (أصول الفقه)؟ يعرفها الذين درسوا في (شرح الكافل)[2] أو في غيره في التبرير بأن يعتمد الإنسان هذه الطريقة: أنه لا يوجَد أدلة يقينية.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾(الأنعام:٣٤) هذا يُعتبَر عملاً لرفع معنويات الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) (تثبيت له) مثلما قال في آية أخرى، يذكر له كيف كان السابقون: كُذِّبوا، وأوذوا، وصبروا حتى أتاهم نصرنا ﴿وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾(الأنعام:٣٤) ماذا يعني؟ كما قال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾(المجادلة:٢١) هذه تعطي الناس أملاً كبيراً، وهو أسلوب القرآن في أنه يعطي الناس أملاً كبيراً؛ لأنك عندما تجد أشياء أنت تصبر أمامها، وتحصل أذية، تكون مؤمناً بأن هذه القضية ستنتهي في يوم ما، وتنتهي لصالحك، لصالح المؤمنين الصابرين، ألم يقل: ﴿حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾؟

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ واستمروا في عملهم ﴿حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾(الأنعام:٣٤) أليست ﴿حَتَّى أَتَاهُمْ﴾ تُبيِّن أن هناك نهاية مثلما قال هناك: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيرُ الْحَاكِمِينَ﴾(يونس:١٠٩)؟ وهذه القضية الناس بحاجة إليها؛ لأنه أحياناً قد يظن الواحد بأن الحالة ستكون هكذا باستمرار: يصبر، يصبر دائماً دائماً بدون أن يعرف إلى متى. لو كنتَ داخل سجن وأنت مثلاً ترفع شعاراً، ارفعْ شعاراً واتركه يسجن، ستنتهي بماذا؟ بحكم إلهي لصالح الناس الذين يسيرون على كتابه، لا تقل: (لكن إلى متى؟!) قد يقول الواحد هكذا، مثلما هو عادة الناس في كثير من القضايا؛ لأنه غاب عن تثقيفنا هذه القضية: ما يعطي الباري من أمل للناس، وما يعطي من وعود، وأنه مدبِّر شؤون السموات والأرض، إلى أن يحصل عند الشخص وكأن أمريكا دائمة إلى الأبد، إسرائيل دائمة إلى الأبد، دنيا هكذا باستمرار باستمرار، إذاً معناها صبر باستمرار باستمرار، ويدوسوننا باستمرار، ولا تنتهي هذه الحالة، لا، بل تنتهي.

ولا يحصل شيء إلاّ ويكون له قيمة في نفس الوقت، لاحِظ ألم يسجِّل هنا في القرآن ما قُدِّم بشكل كان يؤذي النبي؟ يقولون: أساطير الأولين، يقولون: ساحر، يقولون: مجنون، يقولون: كذاب، يقولون... ألم تسجل هنا؟ لأنه داخل هذه كانت كلها تُبيِّن أن الناس بحاجة إلى أن يعرفوا أن هناك في الناس فئة من هذه النوعيات، وفي نفس الوقت يُكذِّبون أنفسهم، ويتضح من خلال مواقفهم ضعف موقفهم، مرة يقولون: أساطير الأولين "وما سَبَرت [3] ثم يقولون مرة: علَّمه فلان، ومرة يقولون: اكتتبها ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾(الفرقان:٥) إلى أن حفظها عن ظهر قلب، ثم قد صار يقرؤها، وكلما قالوا، وكلما مَرَّ الوقت افتضحوا هم، وكذبوا أنفسهم هم، ثم أحياناً يقولون: مجنون! ألم يقولوا مجنون؟ حَسَناً، إذا كان مجنوناً فمعنى هذا أنه ليس بالإمكان أن يأتي ليرى أناساً عندهم أساطير أولين ويقول: أريد أن تقرؤوها عليَّ باستمرار حتى أحفظها! هل المجنون سيعمل هكذا؟ المجنون يهيم في الشوارع، ألم يكذِّبوا أنفسهم في قولهم: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾؟ كذَّبوا أنفسهم.

يتجلى لك في الأخير من مجموع هذه الأشياء كلها بأنها كلها تحكي عن ضعف موقف كل من يصد عن هذا الدِّين، وأنه على الرغم من محاولاته تُقدَّم بالشكل الذي يفضحه، وفي الأخير ينتهي، ألم يسجلها هنا؟ لأنها

---

(١) يُعَميِّ عليك: يُعْميك ويحجب بصيرتك عن الفهم الصحيح.

(٢) شرح الكافل: أحد كتب أصول الفقه ألفه أحمد بن محمد بن لُقْمَان.

(٣) وما سَبَرَتْ: من اللهجة العامية، وتعني: فَشِلَتْ.

تعطي قيمة، وهكذا لا يحصل للناس وهم في سبيل الله أيُّ شيء من جانب عدوهم يبدو وكأنه أذية، أو يبدو شيئاً يحتاج إلى صبر، سجن مثلاً، أو أشياء من هذه، تكون في نفس الوقت بالشكل الذي يفيد القضية التي هم فيها، ويَفضَح العدو نفسه.

لهذا تجد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كان في وضعية أشد من وضعيتنا بالنسبة للمجتمع، هو عارف أن هذه الرسالة للعالمين، وهو يرى معارضات بهذا الشكل الرهيب مِن عنده، مِن داخل مكة، والجزيرة ما زالوا مشركين، وهو رسول للعالمين، أليس كذلك؟ لكن لاحِظ كيف توجيه الله له؟ يُبيِّن له كيف ستنتهي الأمور، يحصل لديه إيمان بأن هذا فعلاً سينتهي، وفعلاً انتهى، لم يمت إلاّ وقد رأى الجزيرة مسلمين جميعاً، لم يمت إلاّ وقد رأى العدو الكبير منهزماً أمامه في (تبوك) وهو الشخص الذي كان في مكة يحصل له أذية من داخل القرية التي هو فيها، من داخل أصحابه، لم يُحبَط، أيُّ واحد منا سيُحبَط، قد يُحبَط أناس منا أمام شخص أو شخصين، هذا عارف أن رسالته للعالمين، في نفس الوقت لم يحصل عنده إحباط، وفعلاً كانت النتيجة بالشكل الذي رآه هو، ورآه الناس، كل من آذوه وصبر في استمراره في عمله على الرغم من أذيتهم وكل الأعداء في الأخير انتهوا، أليس هذا الذي حصل في تاريخه؟ في فترة قصيرة، قد تكون عشرين سنة أو ثلاثاً وعشرين سنة.

﴿وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾(الأنعام:٣٤) لكن ﴿عَلَيكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾(المائدة:١٠٥) هناك في آية سابقة، أليست هذه تُبيِّن أنه لا يأتي من عند الباري تبديل نهائياً، وسيتجلى لك الشيء؟ الشيء الذي هو من جانب العدو بالشكل الذي له أثر إيجابي في قضيتك سيتضح، ويتضح الشيء الذي قد يكون نتيجة تقصير من عندك أنت، قد يكون هذا الشيء الذي هو أذية لك من جانب العدو وهو في نفس الوقت يأبى الله إلاّ أن يجعله إيجابياً، قد يكون أيضاً يوجد من ورائه عقوبة لآخرين؛ لأنه - لاحِظ - هنا في موضوع السجن في قضية (الشعار) لو انطلق الناس لَمَا حصلت سجون، أليس كذلك؟ على حسب توقعنا لو انطلق الناس في مساجدهم لَمَا حصلت سجون؛ لأنها لم تحصل سجون إلاّ عندما لاحظوا أن هناك معارضة من الداخل، وبعض أنصاف متعلمين، وأشياء من هذه، لو انطلقوا لَمَا حصلت سجون، إذاً السجن في ذمة مَن؟ المتخلفين؛ لأنه في نفس الوقت هو آية بالنسبة لهم: أن هذا عمل مؤثر (وانظروا أنكم بسبب تخلفكم كيف أدى إلى أن يُسجَن هؤلاء).

يكون في نفس الوقت إيجابية لجانب من يعملون، وخطير على الآخرين؛ لأنه بسببهم سُجِن هؤلاء حقيقة أن هذا اعتقادنا وفهمنا للقضية أنه بسبب الساكتين سُجن مَن سُجنوا، لم يرفعوه في المساجد، وهي قضية مقبولة، وقضية ملموسة، وقضية يعرفون أن الذي هذا الشعارُ ضده بأنه عدو واضح العداوة، لكن لا يوجَد فهْم لواقع هذه الحياة، ولا فهم للقرآن، ولا فهم لشيء.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ يصبر على التكذيب له، وليست أذية فقط. نحن ما قد وصلت المسألة إلى تكذيب لنا، هل هناك تكذيب لنا؟ فقط يقول لك: إن هذا ليس منه فائدة! وإلاّ فهو يقول لك: (صحيح، الله أكبر، والموت لأمريكا صحيح هي ملعونة، وهم أعداء، وإسرائيل ملعونة، واليهود ملعونون، والنصر للإسلام كلنا نتمنى أن ينتصر الإسلام) لكنه لن يتحرك! لأنه يقول: (ليس منه فائدة) أمَّا الأنبياء فكان يأتي تكذيب لهم، يقولون: ساحر، كذاب، شاعر، مجنون، أساطير، أشياء من هذه، وصبروا، وصبروا على أشياء تنالهم هم، أذية بدنية. صبروا على تكذيب الآخرين لهم، وأذية الآخرين لهم ﴿حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾، ﴿وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾(الأنعام:٣٤) لأنه وعد هناك ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة:١٥٥) أليس هكذا يقول: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾(آل عمران:١٨٦) ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيدُهُمْ شَيئًا﴾(آل عمران:١٢٠) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(آل عمران:٢٠٠) ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾(المجادلة:٢١) ﴿وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾(الأنعام:٣٤)؟

﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾(الأنعام:٣٤) ما يُبيِّن لك كيف كانوا، مثلما قال في آيات أخرى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾(هود:١٢٠) لأنها قضية هامة ومفيدة جداً أن تَعرِض على الناس المكذبين كيف تكون النتيجة، وكيف تكون عقوباتهم، مثلما حصل لناس آخرين، حاضرين، أو ماضين، وبالنسبة للعاملين في سبيل الله أن تُبيِّن لهم كيف كان مَن يعملون في سبيل الله: يصبرون ويتحركون ويواصلون، أليس هذا أسلوبه هنا: يُهدد المكذبين كيف أصبح مَن كانوا كمثلهم، ويثبِّت العاملين وعلى رأسهم رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَو سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾(الأنعام:٣٥) أي: القضية فيها كفاية، كل ما قُدِّم إليك فيه الكفاية، هو شخَّص له الناس، ألم يشخص له

الناس؟ ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً...﴾(الأنعام:٢٥) إلى آخر الآية، ومنهم أناس لو تنزل له كتاباً ويلمسه لقال: هذا سحر، يراك وأنت تصعد إلى السماء ويراك وأنت تنزل وهو في يدك، وتعطيه ليلمسه لقال هذا سحر مبين! إذاً لم يبقَ أن يَكْبُر عليك إعراضهم بالشكل الذي يجعل نفسيتك وكأنها تضعف، معنوياتك تهبط، وتتزعزع ثقتك بما أنت عليه، لا، بل تحرَّكْ دون اهتمام بهؤلاء، لا يترك لديك أيَّ أثر، أن يكبر في نفسك، تَعْظُم عندك القضية، ثم عندما تَعْظُم عندك القضية ترجع على نفسك، هذا معنى: ﴿كَبُرَ﴾.

ذكرنا بالنسبة لأنبياء سابقين كيف أنه قال لموسى عليه السلام: ﴿فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَومِ الْفَاسِقِينَ﴾(المائدة:٢٦) كلمة (لا تأس) جاءت في إطار حديث كثير عن الأنبياء، فلا تأس، فلا تأس، هنا يقول له في آية أخرى: ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيهِمْ حَسَرَاتٍ﴾(فاطر:٨) ورسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو إنسان يهتدي بهدى الله، يُبيِّن له أن المسألة إذا كنت ترى أنك لم تُقدِّم لهم كفاية، ومازلت ترى إعراضهم كبيراً عليك، وأشياء من هذه، فاصعد إلى السماء ابحث إذا رأيت لك سلَّماً تنصبه فتأتيهم بآية، إذا كنتَ ترى أنه لا يزال هناك احتمال لو يأتي كذا ربما لكان يمكن أن يَصْلُحوا ولا تحصل معارضة.

إن الله هو الأعلم، هو العليم بعباده، هو العليم بالآيات التي تقول: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(النساء:١٦٥) تجد آياته لا تأتي آية واحدة فقط، مع أنها تكفي آية واحدة في موضوع مُعيَّن، لكن يأتي في موضوع مُعيَّن بآيات متكررة، أشياء كثيرة في موضوع واحد، يُبيِّن بأن هذه لو تحصل عند شخص فهي طريقة الجاهلين، حتى يعرف الذين يتحركون في سبيل الله ألاّ يكونوا على هذا النحو، يقولون: (واللهِ، ربما لو حاولنا كذا يمكن أن يَصْلُحوا ولم يكن ليقع ما وقع) في موضوع بينات وتبيين، قيِّمْ نفسك من جهة: هل أنت تسير على الأسلوب الصحيح؟ وليس هناك ما يشكّل ضمانة أن الناس في حركتهم على أسلوب صحيح إلاّ إذا كانوا يسيرون على القرآن، وإلاّ فليس أسلوباً صحيحاً، كل أسلوب آخر اعتبرْ أنهم قد جربوه وفشلوا، دعوة آخرين بعضها استمرت أربعين سنة، وبعضها خمسين سنة، وبعضها كم؟! وكم نزل إلى الساحة من كتب حول أساليب الدعوة، وكيف يكون الداعية، وتنظير واسع جداً، أخفقت، كلها أخفقت، بل ظهرت سلبيات كثيرة من داخلها وبسببها.

هذا هو الأسلوب الناجح يعني ماذا؟ أن نثق بالقرآن، نثق به تماماً أن فيه الكفاية، لم يعد ما تُقدِّمه أنت إلاّ على هامشه، تُقدِّم أمثلة مُعيَّنة، توضح أشياء مُعيَّنة في إطاره، لا يحصل لديك فكرة: (ربما لو كان هناك أيضاً شيء آخر، أو نحصل على شيء آخر: آيات، منهج، أساليب؛ لكان بالإمكان أن يُصلِح الناس) هنا يقول: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ﴾ تنزل هناك إذا كان يمكن أن تستخرج لهم آية ربما يمكن أن تؤثر فيهم غير الآيات التي قد جاءت إليك ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَو سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَو شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾(الأنعام:٣٥) في آن واحد بالنسبة لمن يهتدون، أو البشر جميعاً يهتدون، هو غير عاجز أن يجعل النفوس تهتدي هكذا: كل واحد يهتدي.

﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(الأنعام:٣٥) لاحِظ كيف قدِّمت هذه أنها طريقة جاهلين، ولأن القرآن هو تعليم للناس جميعاً، أن يوجه الخطاب إلى مثل رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، أي: أن القضية مهمة جداً، يجب أن يعطيها أهمية كل من يتحرك من بعده على طريقته في دين الله؛ ولهذا يُبيِّن لك أنه فعلاً قد نكون جاهلين (طريقة جاهلين) لأننا لم نصل إلى درجة أن نكتفي بآيات الله في القرآن، وما يوجِّه إليه من خلال القرآن، أليس أيضاً يوجِّه إلى كيف تكون نظرتك إلى هذه الحياة، من أول الآيات في الصفحة الأولى، في هذه السورة، في كيف تكون نظرتك للحياة؟ هو يعطيك مِن هُداه إلى كيف تنظر للحياة، وسترى كم ستحصل على أمثلة وشواهد كثيرة جداً جداً في واقع الحياة، كلها ما زالت امتداداً لهدى القرآن، أم أنك ترى أنه لا يزال هناك شيء آخر يمكن؟! لا توجَد لديك ثقة بالقرآن وما يوجِّه إليه القرآن ويهدي إليه القرآن بأنه كافٍ، وليس كافياً فقط بل فوق الكفاية، هذا يعني أن الإنسان يُعتبَر من الجاهلين؛ ولهذا جاء في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ((ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله)).

نحن يجب أن نرتفع إلى هذه الدرجة، لا يَقلْ أحد: (القرآن فقط؟! ربما لا يزال هناك أشياء، نريد أن نحاول، نريد أن نقرأ، لا يزال هناك أشياء، نريد أن نقرأ). نقول: ممكن أن نقرأ على أساس ما قدَّمه لنا القرآن أن نتناوله في هذه الحياة، فعندما يقول لك: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾(يوسف:٢) إذاً نهتم باللغة العربية، أليس كذلك؟ نهتم باللغة العربية، ونهتم بتقديمها بالشكل الصحيح، وليس فقط قراءة قواعد فحسب، بل نقرأ نفس المادة اللغوية:

شعر اللغة ونثرها، ومِن أهم المراجع فيها القرآن. القرآن فعلاً يعطي للناس مجالات واسعة من التعليم، وكل ما نريد هو أن نترك هذه الأشياء التي أثبت الواقع أنها كانت خسارة على الأمة أن يتشبثوا بها، أشياء لا حاجة إليها نهائياً، أمَّا إذا كانت لا تزال ضارة فعلاً فهي طامة كبرى.

أليست هذه الآية تقول لرسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن يكون مكتفياً تمام الاكتفاء بما يأتيه من عند الله من آيات، وبما يهديه إليه من آيات، حتى تزول كلمة (فقط)؟! لا تزال عندنا كلمة (فقط) قرآن فقط؟! لو فهمنا القرآن لكان الناس بشكل آخر، ولكانت هذه الأمة بشكل آخر؛ ولهذا نقول: إن مَن قَبْلَنا - فعلاً - ظلمونا، ظلموا هذا الجيل بكله. لو سارت الأمة على القرآن من أول يوم من بعد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لكانت هذه الأمة أرقى أمة، لكان العالم - والله أعلم - في وضع يختلف عن هذا تماماً، وهذه الأمة (الأمة الإسلامية) تكون أرقى أمة حتى فيما يتعلق بمعارفها في الصناعات، ومختلف العلوم.

إذاً نريد القرآن فقط، أليس هذا أفضل؟! لأنه هنا يقرر رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن يثق به، وفعلاً عندما سار على هذه الطريقة ألم ينجح؟ أقام أمة، وقضى على الشرك في هذه المنطقة كلها، ولم يمت إلاّ وقد هزم أكبر دولة مناوئة في عصره (الروم) وأن الآخرين الذين ساروا على غير طريقته على الرغم من كثرتهم، وكثرة كتاباتهم، وتعاقب مئات السنين، وليس فقط عشرين سنة، نجح في عشرين سنة، والآخرون مئات السنين، مئات السنين، وإذا بطريقتهم إنما دمرت هذه الأمة، ألا يكفي الناس عبرة؟ وإلاّ فسنكون من الجاهلين، ولن نُقدِّم إلاّ جهلاً، ونتعلم جهلاً جهلاً جهلاً باستمرار إلى أن تصير (شيبة) وأنت تقرأ تقرأ تقرأ، وجهْل، وفعلاً ليس بعد القرآن إلاّ الجهل: شيء مخالف للقرآن.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَو سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَو شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾(الأنعام:٣٥) هذه قضية أخرى: أن تعرف أنه ليس معناه أنه أوكِل إليك أنت صناعة الناس، بل أنت تبلِّغ، وتُبيِّن، وتتحرك على هذا النحو، هذه مهمتك ﴿لَيسَ عَلَيكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(البقرة:٢٧٢) والقضية من بعد على الله، يتعامل الناس هم فيما بينهم مع الله، إنما التوجيه فقط يُقدَّم من عند رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يذكِّر الناس بالله، ويدعوهم إلى الله، ويهديهم إلى هدى الله، يُقدِّم القضية فيما بينه وبين الله، وهكذا، لا تتصور أنه: (ربما أنا شخص غير ناجح، أو ربما أسلوبي سيئ، أو، أو... إلخ) وأنت تتحرك على هذا الأسلوب الصحيح، عندما ترى هناك معارضين لم يرضوا أن يسمعوا ولا يفهموا، افهمْ بأنه لم يُوكَل إليك صناعة الآخرين، وهذه نقولها من قبل: إنها قضية أساسية، ألاّ تظن أنك أنت الذي تجعل الآخرين مهتدين، بل أنت تذكّرهم بهدى الله، وهم يتعاملون مع الله، إمَّا أن يهتدي الإنسان ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوا زَادَهُمْ هُدىً﴾(محمد:١٧) أو يطبع على قلوبهم.

هذه مما غابت في موضوع الدعوة، هي قضية أساسية، وهامة؛ ولهذا في الأخير يبحثون عن أساليب، لاحَظ بأنه لم ينجح فبحث عن أساليب، وفتش عن أساليب، ناسياً بأن القرآن يُقدِّم أسساً للدعوة، ويُقدِّم الأساليب الراقية للدعوة لإقامة الدِّين في العالم وليس فقط أنه يريد أن يدعو داخل شعب مُعيَّن، يُقدِّم الأساليب الراقية لإقامة الدِّين بكله في العالم. وما زالوا يبحثون عن أساليب، ولن يجدوا إلاّ أساليب يكون لها سلبيات كبيرة، ولاحِظ الآخرين في موضوع الدعوة، أليسوا يركّزون على أشياء ثم تراها في الأخير ليس لها قيمة؟ ضياع.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾(الأنعام:٣٦) يسمعون، ويعقلون ما يسمعون، ويفهمونه، ويحرصون، ويهتمون، هؤلاء سيستجيبون. الآخرون هم موتى ﴿وَالْمَوتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ باختصار، سيأتي مثلما قال سابقاً، ألم يقل ويذكر كيف سيرجعون إلى الله، وسيبعثهم، وسيكون هناك ندامة وحسرة، وأشياء كثيرة؟ ﴿وَالْمَوتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيهِ يُرْجَعُونَ﴾(الأنعام:٣٦) يجعل من لا يستجيبون موتى، وفعلاً أنهم يُعتبَرون أموات الأحياء، الذي يُقدَّم في القرآن: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيتًا فَأَحْيَينَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾(الأنعام:١٢٢) فيكون الإنسان ميتاً، وميتاً ليس مثل ذلك الميت الذي قد صار في القبر لم يعد يضر أحداً، بل ميتاً يضر آخرين، أمَّا ميت القبر فقد صار هناك منتهياً، لم يعد يعمل شيئاً.

﴿وَقَالُوا لَولاَ نُزِّلَ عَلَيهِ آيَةٌ﴾(الأنعام:٣٧) وهذه الأشياء ما هي؟! هذه الأشياء الهامة الكثيرة إلى درجة أنه يحافظ على آثار من آثار الأمم الماضية، تبقى قائمة أمامهم، وآيات من خلال القرآن، وآيات يوجههم إليها وهم يسيرون في الأرض، وآيات كثيرة جداً، وبعد ذلك يقولون: ﴿لَولاَ نُزِّلَ عَلَيهِ آيَةٌ﴾ يريدون آية من تلك الطامات، آية مثلما حصل لقوم عاد، أو ما حصل لقوم نوح، أو فرعون، أو... ﴿وَقَالُوا لَولاَ نُزِّلَ عَلَيهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(الأنعام:٣٧) ما بقي إلاّ آيات من تلك الآيات التي لو نزل شيء منها لقضِي الأمر بيني وبينكم، لن تكون آية مقبول أن تؤمنوا أثناءها. الآيات القاهرة (الكوارث) التي كانت تحصل للأمم، لم ينفع فرعون، ألم يحكِ عنه أنه قال: ﴿آمَنتُ﴾ وقد شبع ماء، قد طفح؟ ﴿قَالْ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائيلَ﴾(يونس:٩٠) لم ينفعه.

ولاحِظ أنه يقول عن هذه الفئات كيف أنها خاسرة، وهذا من الخسارة الكبيرة، أن يكون هناك أناس عاصروا رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وهو شخص يعرفونه، منهم، يُقدِّم لهم الآيات الواضحة، آيات كثيرة جداً، وهم مشغولون يعارضون، مشغولون باقتراحات أخرى، إلى درجة أن بعضهم كانوا قد صاروا مستعجلين أن يأتي بآية حتى لو كانت عذاباً، يأتي بهذا العذاب الذي يتوعدهم به، ستأتي في آية بعد. جاء في آية أخرى عندما قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيهِمْ﴾(العنكبوت:٥١) ألا تكفيهم هذه الآيات؟!

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(الأنعام:٣٨) وهم هناك يقترحون آيات: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(الأنعام:٣٧) وهناك أمم أخرى قد تكون أيضاً محط رعاية إلهية، لاحِظ بالنسبة لنوح (عليه السلام) يحمل من كل زوجين اثنين، قد تكون بعض الأمم الأخرى محط رعاية إلهية إلاّ ربما في الحالة الأخيرة، وشيء إلهي يأتي من جهته لها فيما بعد.

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(الأنعام:٣٨، ٣٩) إذاً تلاحِظ في موضوع المخلوقات الأخرى، يُقدِّم في القرآن في أكثر من مقام بأن المخلوقات الأخرى تسبِّح الله، والمخلوقات الأخرى تسجد لله؛ ليعرف الإنسان نفسه أنما هو أمة من الأمم الكثيرة التي تعبد الله، ليعرف بأنه عندما يتمرد على الله بأنه هل سيضعف جانب الله، أو أن الله حريص عليه أن يعبده، وليس هناك من يعبده إلاّ هو؟! ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوعًا وَكَرْهًا﴾(الرعد:١٥) ويذكر في آية أخرى بأنه يسجد له كل الدواب، وكل المخلوقات، وكثير من الناس، وكثير حق عليه العذاب[1] هذه قضية هامة: أن يعرف الإنسان بأنه واحد من المخلوقات من الأمم الكثيرة التي تعبد الله، جاء في إطار أن تعرف بأن الله غني عنك، وعندما ترى هذا التكرير لآيات الله، والتبيين العظيم الواضح، والرعاية العظيمة، فإنها من أجلك أنت، لمصلحتك أنت، وإلاّ فهو غني عن عبادتك.

حتى في المقارنة فيما بينك وبين المخلوقات الأخرى، قد يكون هناك ملايين الطيور أكثر منك تسبِّح له، هو غني عن العالمين، يُحَس الإنسان بهذا حتى يعرف بأن كل دِينِ اللهِ الذي قُدِّم إليه هو من أجله هو، ليس لأننا إذا لم نعبده فلن يكون هناك أحد سيعبده، الملائكة تملأ السموات مسبحين، عابدين لله ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾(الأنبياء:٢٠) وكذلك المخلوقات الأخرى حتى الجبال، وكل الطيور، وكل الدواب أمم أمثالكم، ويقول أيضاً: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ هذه تعني إذا كان سيحشر أمماً من هذه فأنت ستُحشر أيضاً، إذا كان سيحصل داخل هذه حساب وعقاب، وأشياء من هذه، فأنت في المقدمة؛ لأنك المخلوق الرئيسي هنا في الأرض، الإنسان هو المخلوق الرئيسي هنا في الأرض الذي استخلفه الله عليها.

هذه القضية نجدها متكررة في القرآن، ولها أثر إيجابي بالنسبة للناس، وبالنسبة لمعرفة الله سبحانه وتعالى بأن نعرف أن الله غني عن العالمين، ألم يقل بأنه غني عن العالمين؟ فعندما تعرف كم في هذه الأرض، كم يجد الإنسان من مخلوقات، كم نرى من مخلوقات، أشياء كثيرة أنها أمم تعبد الله، ثم ترى بأننا فقط نحن من نتمرد على الله، هذه كلها تعبده، إذاً بالتأكيد ليس بحاجة إلى عبادتنا له، أنه غني أليس هذا مظهراً من مظاهر غناه؟ وقلنا كلما نعرف اسماً من أسمائه، فاعرف بأن هناك التدبير في العالم قائم أيضاً على أسمائه هذه، هو غني، هناك البراهين القائمة على أنه غني فعلاً، وتدبيره لهذا العالم على أنه رحيم وغني في نفس الوقت.

هذه ضُرِبت في ثقافتنا - بالنسبة للطيور والمخلوقات الأخرى أنها لا تدري بشيء - على أيدي المعتزلة، عزلونا هناك على جنب، لأنها لا تعرف شيئاً! هنا يقول: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ويأتي في آيات أخرى يذكر بأنها تسجد لله، وتعبد الله، كل شيء يسبِّح له ويعبده ﴿وَالطَّيرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾(النور:٤١) وقدَّم في القرآن بأنها تُدرِك في قصة الهدهد مع سليمان (عليه السلام) وقصة النملة. قالوا أبداً هي لا تعقل، ولا تفهم

---

(١) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّه يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالِجْبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيهِ الْعَذَابُ﴾(الحج:١٨).

شيئاً، هي عندها فقط غرائز، هي لا تدري بشيء؛ لأنها لو كانت تدري بشيء لكانت مكلفة! هنا يقول: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ بمعنى أنها نفسها، ولو أننا نراها صغيرة، قد نكون نحن بني آدم بالنسبة لمخلوقات أخرى لا نراها لا نمثل إلاّ مثلما ترى النملة فوق يدك تماماً، نحن لسنا أكبر مخلوق، حتى يقول البعض: كيف أن هذه النملة تُدرِك وهي صغيرة، أو مخلوق أصغر منها يُدرِك، وربما هو عارف لله ويعبد الله، ونحن نراه صغيراً؟! أنت صغير أمام الجبل وهو مما يُسبِّح الله، ما بالك قد يكون هناك ملائكة بأحجام كبيرة جداً، لا يمثل الإنسان عندهم إلاّ كالنملة بالنسبة للإنسان.

﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أنها منوط بها مهام مُعيَّنة، مسؤوليات مُعيَّنة بالنسبة لها، وتُحشر، وهو يسمي يوم الحشر، يوم الفصل، أليس هكذا يوم الفصل؟ هي تدرِك، ومنوط بها مسؤوليات مُعيَّنة لا ندري بالتحديد ما هي، إلاّ أنها من الأمم التي أمورها مرتبة، وهناك مسؤوليات ومهام منوطة بها.

بنو إسرائيل عندما رأوا أنفسهم وكأن الباري بحاجة إليهم، لا تصح نبوة إلاّ منهم، لا يصح دين إلاّ إليهم والباري لا بُد أن يراعيهم ويعمل كل ما يريدون "وإلاّ فسيَقلبون وإذا قَلبوا فلا يوجد غيرهم"![1] هو قدَّمهم بهذا الشكل، نفسياتهم ترسَّخت لديهم هذه الرؤية إلى الآن، لا، الله يقدِّم للإنسان بأن يعرف بأنه نوع واحد ربما من ملايين الأمم من المخلوقات الأخرى؛ لترى نفسك حسرة وأنت الذي استخلفك الله وأعطاك - مثلاً - من الكيفية في خلقك ما يجعلك فعلاً مهيمناً في هذا العالم، أي: المخلوق الأساسي في هذا العالم، فعندما تكون أنت "أقلَب"[2] المخلوقات في هذه الأرض ألا تُعتبَر من الناحية الأخلاقية إساءة إلى الله؟ هذه النملة التي قد تدوسها بقدمك هي تُسبِّح الله، وتعبد الله أفضل منك؛ ولهذا قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيهِ الْعَذَابُ﴾(الحج:١٨).

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(الأنعام:٣٩) فعندما نرجع إلى أن الله سبحانه وتعالى رحيم، وحكيم، وحليم، تجد أنه لن يُضِل أحداً إلاّ وقد وصل إلى حد لم يعد ينفع معه شيء، وإلاّ فهو يرحم، يعفو، يصفح، يتجاوز، يُقدِّم الأشياء التي تُعتبَر هدى للإنسان، فإذا لم يعطها قيمة ولم يعطها أهمية فإنه يضله، قد يضله فعلاً، لذلك يَظل الإنسان مرتبطاً بالله دائماً، لا يكون معتمداً على ذكائه، ولا على فطنته أو يتصور أن "البادي منه هو"[3] متى أراد أن يقول للباري: سمعاً وطاعة، وكأن ليس إلّا هو في هذا العالم، هناك النمل، عدد النمل قد يكون جنب بيتكم أكثر من أهل القرية كلهم، تُسبِّح الله وتعبده، أي: الله غني عنك أنت وأهل قريتك، يتصور الإنسان أن البادي منه، ثم عندما يتضح له الموضوع، ثم عندما يرى بعد (عسى إن شاء الله أنه سيصلح) لا، قد يُضلِه الله، بل يكون الإنسان راجياً لله، وخائفاً من الله في نفس الوقت.

إلى هنا، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ
الموافق: ١٠/ ٢/ ٢٠٢١م

(١) قَلَبُوا: من اللهجة العامية، وتعني هنا: تمردوا.
(٢) القَلَب: من اللهجة العامية، ويعني: الشيء المخالف للصواب.
(٣) البادي منه: من اللهجة العامية، وتعني: أنه يظن أن بإمكانه السمع والطاعة في أيِّ وقتٍ يشاء.

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً} ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى} ٢٠٠٢/٢/١٠م
{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ} ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ} ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ١٤٢٢/١٢/٢١هـ	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي} ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}	الوحدة الإيمانية	{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى}	{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ}
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٥/٢٨ /٢٠٠٣م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٥ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٢ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ